
الأرملة السوداء
د. منى حارس
ساحر الكتب

(١)

أخذت تنظر بضيقٍ أمامها، وبعدها تلفّتت يمينًا يسارًا في محاولةٍ فاشلةٍ لإيجاد أحد المارّة لمساعدتها في رفع باب المتجر الحديديّ لأعلى، زفرت فلم يكن هناك أحدٌ لمساعدتها في تلك الساعة، فقامت برفعه بصعوبة وهي تزفر بغضبٍ ممتزج بالتعب، لقد كان الباب عالقًا وبالكاد استطاعت رفعه لأعلى لتبدأ عملها، رغم تشحيمها له أمس، لم تكن «ميّادة» معتادةً على تلك الأعمال الشاقّة، ولم تكن تعرف بأنّ العمل مرهقٌ هكذا، لقد استأجرت المحل «الدكان»، وجهّزته ببعض الأرفف الزجاجيّة ووضعت فيه بعض الحليّ والإكسسوارات وأدوات التجميل والعطور والأشياء الخاصّة بالنساء، وأصبح هو عملها ومصدر رزقها وتقضي فيه معظم وقتها من اليوم.

فبعد سفر أخيها الكبير «محمّد» للعمل في إحدى دول الخليج، وكان هو كلّ من تبقّى لها في الحياة بعد موت والديها، وكانت تعيش مع جدتها من الأم، وفي رعاية خالها وزوجته حتى موعد زفافها من خطيبها وصديق عمره وطفولته الصحفيّ «يسري رشوان»، كان الخال يعيش في نفس منزل العائلة المكوّن من ثلاث طوابق، فقد كان يسكن في الطابق الثاني في شقّةٍ منفصلةٍ عن شقّة الجدّة بالطابق الأول، وكانت شقّة أخيها محمّد في منزل العائلة أيضا

بالطابق الثالث وتعيش فيها زوجته وأطفاله الثلاثة، وكانت زوجة أخيها «نهلة» تحبّها كثيرًا كأخت صغرى لها وتذهب إليها دومًا لتطمئنّ عليها وتلبي لها طلباتها وتعدُّ لها الطعام وتغسل الثياب وتهتمُّ بنظافة منزل الجدّة منذ سنوات، وطلبت زوجة الأخِّ من أخت زوجها أن تظلّ معها في شقّتها ومع أطفال أخيها، ولكنّ ميّادة لم تستطع ترك جدّتها المريضة بمفردها في الشقّة وهي بالكاد تستطيع التحرك لقضاء حاجتها، فتركت شقّة والديها لأخيها ليتزوج فيها وكانت تعيش فيها مع والديها قبل رحيلهم منذ سنوات.

كرهت الجلوس بالمنزل بعد أن أنهت معهد الخدمة الاجتماعية، ولم تحبّ العمل بشهادتها وكانت تريد عمل مشروعٍ خاصّ ليكون مصدر رزقها، وتسلّي نفسها في أوقات الفراغ حتى تتزوج فمازل خطيبها لم يكمل الشقة مع إرتفاع الأسعار، وكان أمامها عامان على الأقل كما حدّد خطيبها مع أخيها وخالها حتى يكمل الشقّة ويتمّ فرشها، وهي لم تكن في الحقيقة متعجّلةً من موضوع الزواج، بل كانت تريد أن يكون لها كيان منفردٌ ومستقل، ومصدر رزقٍ منفصلٍ عن زوجها المستقبلي.

فأقنعت أخاها بأن يتركها تفتح ذلك المتجر وهي واثقةٌ بأنّها سوف تنجح وسيكبر المشروع الصغير، فوافق أخاها

وساعدها ببعض المال وباعت هي مصاغ أمّها واستأجرت المحل وافتتحته منذ شهر مضى، كانت تتمنى افتتاحه في يوم عيد ميلادها الخامس والعشرين في يوم عيد الأم، في الواحد والعشرين من شهر مارس..

ولكنّه القدر فلقد أحضر لها خطيبها محلًا للإيجار في مكانٍ مميّز على إحدى الشوارع الرئيسيّة في منطقة عين شمس، وكان فرصةً لا تعوّض، والفرص لا تأتي للمرء مرتين وكانت هي تؤمن بذلك جيدًا، وكان صديق خطيبها يريد أن يؤجّر المحل لأنّه سوف يسافر للعمل ولا يريد تركه مغلقًا، ففرحت بالمكان والسعر المناسب وكتبت العقد ووضعت البضاعة بمساعدة يسري خطيبها، وأمام اعتراض خالها وزوجته ولكنّها لم تهتمّ فلقد كان أخوها داعمًا لها دومًا ومؤيدًا لكلِّ ما تفعله ومؤمنًا به هو وجدّتها العجوز فكان السند والدعم بعد موت والديها منذ سنوات وهو من رباها وأهتمّ بها وكان يكبرها بخمسة عشر عام، ولكنّها لقمة العيش والعمل الذي فرقّه عنها وعن أطفاله وزوجته وجعله يتركهم ويسافر ليعمل في دولةٍ أخرى.

رنّ الهاتف الجوال في تلك اللحظة، فوضعت هي تلك القطعة من الحديد التي تشبه العصى ولها جزءٌ مثنيٌ في نهايتها، وكانت ترفع بها الباب الخارجيّ للمحل لأعلى..

وضعتها جانبًا، وفتحت حقيبة يدها لتخرج الهاتف، وكان يسري خطيبها سمعت صوته يردّد بحنان:

- صباح الخير أميرتي الجميلة صاحبة أجمل عيونٍ بالكون.

ابتسمت رغمًا عنها مردّدةً:

- يبدو أنّ مزاجك رائق يا يسري، وأنا أشعر بالغضب فالأفضل ألّا نتحدث الآن واتركني ساعةً حتى أستعيد مزاجي المتعكّر؟

- وما الذي عكّر مزاج أميرتي الجميلة؟

- ابتسمت وهي تردّد:

- أميرتك تعبت من ذلك الباب اللّعين الذي أرفعه بصعوبةٍ كلَّ يوم، رغم تشحيمه.

زفر بضيقٍ متنهدًا:

- منذ البداية كنت غير موافقٍ يا ميّادة على ما تفعلين، ولكنّنى لم أشأْ أن أقف أمام سعادتك والشيء الذي تحبين فعله ولم أمنعك من فعله بسبب حبّي لك.

زفرت هي بضيقٍ مردّدةً بغضب:

- هل سنكرّر ذلك الكلام كلّ يوم؟ لقد تعبت، لقد أخبرتك

بأنّه حلمي وأريد أن أحقّق شيئًا في الحياة ويكون لي كيانٌ مستقلٌّ ومعي أموالٌ ولا أحتاج لأحد في الحياة ليذلّني ويهينني هل تفهم يا يسري...صُدِمَ هو من ردّة فعلها وكلامها الغريب فتنهد غير مصدقٍ:

- يذلّك و يهينك يا ميّادة! ما هذا الكلام الغريب، وهل الزوج عندما يصرف وينفق على زوجته يعتبر ذلًّا وإهانةً لها؟ إنّه واجبه وما أمره الله به وإنْ لم يفعل سيحاسب حسابًا عسيرًا. صدقيني لولا أنّني أعرفك جيدًا وأعرف بأنّك لا تقصدين ما تقولين لكان لي تصرّفٌ آخر، فلا تسمحي لتلك البرامج والصفحات التي تدعو المرأة للتحرّر بلا وعيٍ وفهم أن تخرّب عقلك وافهمي ما تقولين.

زفرت بضيقٍ، هي لا تقصد إهانته ولا تجريحه، بل هي تحبّه بجنونٍ هي الأخرى، بل تريد مساعدته وإنهاء شقّتهم ليتزوجوا، تريد أن يكونا يدًا واحدة، ولكن كلُّ تلك القصص الغريبة التي تسمعها من حولها وما يحدث بعد الزواج وبعد قصص الحبّ الطويلة جعلتها تخاف وتتردّد، ولا تثق فيه تمامًا رغم حبّها الشديد له، فهي تسمع كلَّ يومٍ عن غدرٍ وخيانة بعد سنواتِ الحبِّ والعشرة الطويلة، فلماذا سيكون هو الجيّد، وما الذي يضمن لها ذلك؟ كانت تريد تأمين حياتها ويكون لها مصدرُ دخلٍ ومشروعٌ خاصٌّ فلم تفعل شيئًا

خاطئًا، فهي تخاف من غدر الزمان فقط ولقد ساعدها هو وأحضر لها المكان ووقف معها وكان داعمًا لها ومؤيدًا فيما تفعل رغم اعتراضه عليه، لا تنكر ولم يقف عقبةً في طريقها، فلماذا يعترض الآن ويخلق مشكلةً من لا شيءٍ لا تفهم، قالت بضيق:

- أرجوك يا يسري اتركني الآن حتى أفتح المكان وأجهزّه وأرتّب كلَّ شيء، وعندما أشرب قهوتي وأتناول الفطور سوف أتصل بك من فضلك. أحبّك مهما فعلت يجب أن تعرف ذلك..

كان سيعترض سيرتفع صوته غاضبًا ليقول لها بأنّها فتاةٌ حمقاء وغبيّة عنيدة، ولكنّ كلمة «أحبّك» الأخيرة غيّرت كلَّ شيء وجعلته يبتسم رغمًا عنه مردّدًا:

- أعشقك يا مجنونتى الصغيرة، انتبهي لنفسك حتى أراكِ على خير، سلام.

وضعت هاتفها في درج المكتب، وهي تبتسم بسعادةٍ فلقد كانت تحبّه منذ أن رأته يومها في مكتب أخيها منذ ثلاث سنواتٍ مضت فقط، بالرغم من أنّه صديقه وأنّهم جيرانٌ في نفس الشارع، رغم أنّ أخاها أكبر منه بسبع سنوات، ولم يكن والداه يسمحان له بدخول أصدقائه والجيران المنزل من أجل أخته الفتاة حتى لا يعتاد على تلك العادة عندما يكبر،

فلم تره إلّا في مكتب أخيها، وكان محمّد أخوها وقتها يعمل في مصلحة الضرائب محاسبًا.

وبسبب بعض المشاكل والظلم الذي تعرّض له وتزوير بعض الأوراق وإتهام أخيها وتوريطه من قبل بعض زملائه في المصلحة وكان سَيُسْجَنُ بعد ما تعرّض له من أذيّة، لولا يسري وتدخلّه وكشفه للحقيقة والتزوير والتلاعب بالأوراق، اكتشفت الشرطة المسؤولين الحقيقيين عن الأمر، وتمّت تبرئة أخيها ونجاته من شرٍّ مبين، ولكنّه بعدها كره المكان والعمل فيه وقدّم على معاشٍ مبكرٍ نظرًا لإصابةٍ في قدمه من حادثةٍ قديمة..

ولديه إعاقةٌ بسيطة في قدميه، وسافر بعدها إلى دولةٍ عربيّةٍ وعمل هناك في إحدى الشركات بمساعدة الصحفيّ يسري أيضا وصديقٍ عربيٍّ له كان يحتاج محاسبًا لمصنعه، هزّت رأسها وابتسمت أكثر وهي تهمس لنفسها:

- أحبُّ طيبتك وحنيّتك يا غبيّ، لو تعرف كم أحبُّك يا أحمق، ولكنَّ كلَّ ما يحدث من حولي يخيفني بشدّة..

وبدأت بعدها تنظِّف المكان وترتِّب بعض الأرفف وتضع عليها بعض العطور الحريمي، بعد أن رفعت صوت السمّاعة التي تعمل بالفلاشة وعليها القرآن الكريم كاملًا بصوت الشيخ مشاري راشد، وكان يتلو صورة الملك لجلب الرزق.

فلقد كانت جدّتها توصيها قبل الخروج من المنزل أن تقرأ صورة الملك فهي تجلب الرزق والبركة للمكان، فكانت أوّل شيءٍ تفعله هو الاستماع للصورة بصوتٍ عالٍ بالدكان وترديدها خلف الشيخ.

كانت منهمكةً في العمل عندما لاحظت توقف السمّاعة مرّةً واحدة وانطفأ المصباح الكهربائيّ، فالتفتت وهي تزفر بغيظ مردّدةً:

- يبدو أنّ النور قطع، وهنا وجدتهما أمام وجهها مرّةً واحدة فصرخت فزعًا وعادت للخلف خطوتين وهي تصرخ، لرؤيتهما المفاجئة ولكنّها اعتذرت منهما فلقد أفزعها الموقف عندما استدارت..

فقالت بتلعثم:

- مرحبًا يا راوية، مرحبًا سميّة كيف حالكما لقد أفزعتماني..

كانت السيدتان تقفان أمام الباب لتحجبا ضوء النهار الداخل من الخارج ينظران لها، ابتلعت ما في حلقها بصعوبةٍ وهي تنظر إلى عيونهما الواسعة بتوتّر، لا تدري ولا تفسّر ما يحدث لها كلّما حضرتا إلى المكان، تصاب بحالةٍ غريبةٍ من الفزع والتوتّر..

لقد تعرّفت عليهما منذ أوّل يومٍ فتحت فيه المتجر ولقد تعاطفت معهما، بعد أن عرفت قصتهما الحزينة، فكانت الاثنتان توأمتان متماثلتان في كلِّ شيء، لا تستطيع تمييزهما عن بعضهما البعض، إلّا من خلال وزنهما، فكانت راوية بدينة ويزيد وزنها عن سميّة كثيرًا، وجسدها ممتلىء، لهما نفس العيون الخضراء الواسعة والبشرة البيضاء، تظهر على وجوههما آثار الزمن والكبر، القليل من التجاعيد حول العينين لتبيّن آثار الزمن وغدره، لهما شعرٌ أسودٌ ناعمٌ قصير تغزوه بعض الشعيرات البيضاء، يلمّانه أعلى رؤسهما بشريطٍ أسود، كانت الإثنتان لهما نفس الطول تقريبا، لما تكونا طويلتان، بل كانتا متوسطتان في الطول لا يتجاوز طول الواحدة منهما ١٦٠ سم، كانت ميّادة أطول منهما وقد تجاوزت ١٧٥ سم، وذات جسدٍ رشيقٍ ووزنٍ مثاليّ تحافظ عليه بالذهاب للجيم ولعب الرياضة ثلاثِ مراتٍ في الإسبوع ، وكانت تمتلك نفس العيون الخضراء للتوأمتين، ولكنّها كانت ذات بشرةٍ قمحيّة اللون، ولها شعرٌ بنيٌّ طويل يصل لأسفل ركبتها ولكنّها كانت تغطيه بحجابٍ فوق رأسها، كانت تشبههما بطريقةٍ غريبةٍ جدا ونفس العيون الواسعة الملوّنة، وكما يقول المثل الشعبي «يخلق من الشبه أربعين».

ردّت راوية بصوتها المبحوح قليلًا:

- بخير، كيف حالك يا ميّادة اليوم نعتذر لإزعاجك..

- الحمد لله بخير، والتفتت إلى سميّة قائلةً:

- وأنت كيف حالك يا سميّة هل أعجبك كريم الشعر بالبروتين الذي أخذتيه الأسبوع الماضي، نظرت الفتاة لأختها الأول قبل أن تردّ، فهزّت الأخت رأسها وهنا ردّدت هي بأليه:

- جيد أشكرك، وبعدها صمتت..

ردّت ميّادة بتوترٍ وهي لا تفهم لمَ تستأذن الأخت توأمتها دومًا قبل الحديث، لقد لحظت ذلك منذ عرفتهما، فهناك علاقةٌ غريبة وغير مفهومة بينهما:

- الحمد لله، وبعدها صمتت لا تدري ماذا تقول، فالتوأمتان غريبتان لهما نظراتٌ غريبة، هي ترتاح أكثر لسميّة عن أختها رواية، تشعر بأنّها رأتها من قبل في مكانٍ ما ولكن لا تتذكر أين؟

فنظرات راوية كانت غريبةً وأحيانًا تائهةً خاويةً من المشاعر والحياة وكلّها حقدٌ وغلّ، ولكن يبدو أنَّ سميّة هي الشخصية الأضعف وتسيطر عليها أختها تماما، ولا تسمح لها بالحديث إلّا بعد أن توافق وتأذن لها، كانت قصتهما حزينة، فلقد أخبرتها راوية بأنّها كانت متزوّجةً منذ سنوات وكان لديها زوجٌ وطفلة ولكنّهما ماتا ولم تتزوج بعدها، ولم تتزوج

أختها التوأم بعد، وسيكملان عامهما الأربعين، وليس لهما أقارب ولا أصدقاء للسؤال عنهما بعد موت والديهما، فالكلُّ تخلى وابتعد فلم يكن لهما إلّا بعضهما البعض وتعيشان معًا، وكانتا تسكنان قريبًا من دكانها في عين شمس.

كانتا تأتيان لشراء مايلزمهما من مستحضرات التجميل منها، ونشأت شبه صداقة بينهما، وحكت لها راوية قصتهما، وكانت ميّادة مستمعةً جيّدة، تحبُّ الاستماع كثيرًا للآخرين، ولقد رقّ قلبها لهما لن تنكر، فالفتاتان وحيدتان في الحياة، يتيمتان مثلها تمامًا بالحياة فلم لا تدعمهما بالكلمة الطيّبة.

- ابتسمت راوية وهي تردّد بودّ:

- إنّه عيد ميلاد جارةٍ لي وأريد أن أشتري لها عطرًا وعلبة مكياجٍ كبيرةٍ كاملة.

نظرت لها ميّادة بدهشة، فعلبة المكياج الكاملة سعرها سيكون غاليًا، فكان يكفي العطر الحريمي لتقديمه كهديّة عيدِ ميلادٍ ولكنّها لم تردّ بل ابتسمت وأحضرت لها علبة مكياجٍ صغيرةٍ بدورٍ واحد بها أشياء بسيطة، فردّدت راوية بغموض:

- ما هذا يا ميّادة إنّها صغيرةٌ جدًّا ولا تليق بي..

- ولكنّ سعرها مناسبٌ مع أحد العطور وستكون هديّةً

جميلةً ومناسبة، رفعت يديها وأشارت لأحد الرفوف مردّدةً:

- أريد تلك العلبة، وكانت علبةً من ثلاثة أدوار بها كلّ مستحضرات التجميل، وأريد ثلاثة عطورٍ مختلفة وبأسعار غالية، فالهديّة من قيمة صاحبها لا يهمُّ المال ابدًا.

هزت ميّادة رأسها بتعجب، فيبدو أنّها أخطات عندما عرضت عليها العلبة الصغيرة لتوفّر عليها الأموال، فهي حرّة، فلتشترِ حتى المحلَّ كلّه فليس لها دخل، المهمُّ بأنّها ستدفع في النهاية.

أحضرت العلبة الكبيرة كما طلبت وثلاثة أنواعٍ مختلفةٍ من العطور الغالية الثمن وقالت:

- ما رأيك يا سميّة؟

نظرت سميّة قبل أن تتحدّث إلى عيون أختها أوّلًا وكأنّها تستأذن منها، ثمّ قالت بآلية:

- جيّدة..

ابتسمت راوية وهي تردّد:

- كم تريدين؟

ردّت وهي تبتلع ما في حلقها، قلت لك بأنّها غالية، ثلاثة آلافٍ وخمسمئة جنيه بعد الخصم.

أخرجت المبلغ من حقيبة يدها ببساطة، ومدّته إليها وهي تبتسم:

- أخبريني يوم مولدك يا ميّادة، متى؟

نظرت ميّادة بدهشة فلم تتوقع السؤال:

- ٢١ مارس يوم عيد الأمّ هو عيد ميلادي، وهنا ازدادت ابتسامة راوية واتّسعت وهي تردّد:

- هل تعرفين إنّه نفس يوم عيد ميلادنا أنا وأختي، ولقد اقترب يوم ميلادنا جميعًا إنّها صدفةٌ غريبة.

- ابتسمت وهي تردّد «صدفةٌ غريبةٌ حقًّا»، والتفتت إلى سميّة وكانت تفرك شعرها بيديها بتوتر وتنظر لها بطريقةٍ غريبةٍ خاليةٍ من المشاعر وتبرز عيونها للخارج بطريقةٍ مرعبة، هزّت رأسها ولم تردّ، وهنا عادت الكهرباء، وعاد المصباح لينير المكان ولكنّ مسجل الصوت لم يعمل، وضعت الهدايا في شنطةٍ من الورق المقوّى للهدايا، ومدّت يدها لراوية التي كانت تنظر لها طويلًا نظراتٍ غريبة جعلتها تتوتّر، وخاصّةً عندما لمست يديها، شعرت بقشعريرةٍ تسري في جسدها كالكهرباء عندما تمسُّ أحدهم، قالت بصوت جاف:

- اراك لاحقًا وبعدها نظرت إلى توأمتها مردّدةً:

- هيا يا أختي..

رحلتا ووقفت هي مصدومة، لا تدري فالتوأمتان غريبتان بحقّ، وهنا شهقت بفزعٍ عندما علا صوت السمّاعة للشيخ مشاري راشد قول الله تعالى: «تبارك الذي بيده الملك وهو على كلِّ شيءٍ قدير»

وهنا تذكّرت بأنّ السماعة كانت تعمل ولم تطفئها عند انفصال الكهرباء، وضعت المال في درج المكتب، وبعدها رنّ هاتفها الجوال وكان يسري:

- شعرت بالأمان وهي تسمع صوته الحنون ونظراته الدافئه وتخيلته أمامها، بعيونه السوداء وشعره الأسود الناعم كان يشبه «أنور وجدي» كثيرًا وخصوصًا عندما يغضب ويهزُّ رأسه فيتطاير شعره الطويل للخلف ويحمرُّ وجهه غيظًا، كانت تحبّه وهو غاضب ولكنّها في تلك اللحظة تريد أن تلقي بنفسها بين ذراعيه ليشعرها بالأمان، ولا تتكلّم قالت بصوتٍ مهزوز:

- كيف عرفت بأنّني أحتاج سماع صوتك الآن؟

- ابتسم وهو يقول، إحساسي الذي لا يخطىء يا صغيرتي، هو لم يكن يشعر بشيءٍ ولكنّه كان يريد أن يخبرها بأن

أخاها اتصل به ويطلب منها بعض الأوراق، ولكنّه عندما شعر بتغيّر صوتها وتوتّرها لم يقل شيئًا:

- هل أنت بخير؟ صوتك غريبٌ مرتبك ماذا حدث هل ضايقك أحد؟

- لا أدري يا يسري ولكنّهما التوأمتان اللتان أخبرتك عنهما من قبل، كانتا عندي منذ لحظات وشعرت بالتوتّر لا اعرف لماذا؟

- زفر وهو يردّد أخبرتك أن تمنعيهما من دخول المحلِّ ما دمتِ لا ترتاحين لهما بتلك الطريقة.

- ولكنّهما تدفعان جيّدًا، فلقد اشترتا هدايا لجارتهما بمناسبة عيد ميلادها بثلاثة آلاف جنيه ونصف الآن.

- وهل يعقل يا ميّادة شراء هديّةٍ لجارة بذلك المبلغ في المنطقة التي تعيشان فيها، فهي منطقةٌ شعبيّةٌ نوعًا ما وليست مكانًا راقيًا، هذا كلامٌ غريب لا يصدقه طفلٌ في السابعة.

- في الحقيقة يا حبيبي أتّفق معك حتى لبسهما بسيط فمن أين تحضران تلك الأموال، أحيانا أتعجّب فهما تشتريان الكثير من البارفانات وأدوات التجميل منذ أن فتحت المحل، ولكن لم أرهما يومًا تضعان شيئًا على وجهيهما فلا أفهم لماذا

وماذا تفعلان بكلِّ هذا؟

- من فضلك إمنعيهما من المجيء إليك ودخول المحل.

- لا أستطيع فهما تدفعان جيّدًا ولم تفعلا لي شيئًا، هما تشتريان مني فقط البضاعة وهما حرّتان فيما تفعلان بها بعد ذلك مادامتا لن ترجعا شيئًا ولن تسبّبا لي مشكلة.

- أنا قلق، وتعرفين بأنّني أعمل صحفيًا في صفحة أخبار الحوادث وكلّ يومٍ أشاهد حوادث غريبة وبشرًا سيئين، أرجوك حافظي على نفسك من أجلي ولا تلقي بنفسك إلى التهلكة.

- حاضر حبيبي، لا تقلق فلم أؤذي أحدًا ولم أفعل شيئًا يضرُّ أحدًا فسيقف الله بجانبي دومًا، أنا أعرف.

- ومن قال لك بأنّ المؤذين في الحياة يؤذون المؤذي يا صغيرتي؟ هم لا ينجذبون إلّا للطيّب الذي لا يفعل شيئًا لأحد ويسير بجانب الطريق..حفظك الله يا حبيبتي من كلِّ شرّ.

ودّعها خطيبها ولم يقل لها شيئًا آخر ونسي إخبارها عن إتصال أخيها، لقد كان مشغول الفكر والعقل بالتوأمتين اللتان تخبره عنهما، وماذا تريدان من خطيبته يا ترى؟ هناك شيءٌ خاطىءٌ بالأمر..

هل هو الفراغ والوحدة التي تشعران بها هي ما دفعتهما للتعرّف على ميّادة ومحاولة مصاحبتها لتضييع الوقت؟ فخطيبته طيّبة القلب ومستمعةٌ جيّدةٌ للناس.

أم أنّ هناك سببًا آخر؟

وإن كان هناك سببٌ آخر، ما هو يا ترى؟ لماذا لا يشعر بالارتياح رغم أنّه لم يرهما ولو مرّةً واحدة.

في الحقيقة هو يحبُّ أن يراهما ليطمئن على حبيبته..

فتلك الحاسّة السادسة لديه واستشعار الخبر والغموض والبحث وراء معرفة الحقيقة والتحقيقات هنا وهناك والسؤال لمعرفة السبب، كانت أقوى منه، ولكن ماذا سيفعل لتلك العنيدة التي عشقها بجنون؟

أخذ يهرش رأسه وهو يفكّر بعمقٍ وقطع حبل أفكاره زميله بالجريدة الذي قال بحماس:

- يسري، جريمة قتلٍ لطفلٍ صغير في...، نفض ما في عقله بسرعة والتفت لزميله قائلًا:

- ماذا تقول، جريمة قتل؟

(٢)

عادت ميّادة إلى منزل جدّتها وكانت منهكة فهي تجلس في المحلِّ ١٢ ساعةً يوميًا، من العاشرة صباحًا وحتى العاشرة مساءً ولم يكن هناك أحدٌ يساعدها، نادت عليها جدّتها من غرفتها:

- ميّادة، أحضري لي كوبَ ماءٍ من فضلك..

دخلت وهي تحمل زجاجة الماء وكوبًا فارغًا وقبّلت رأس جدّتها وهي تردّد:

- هل أخذت دواءك يا جدتي وتناولتِ طعام العشاء؟

- الحمد لله يا حبيبتي، لماذا تأخرتِ اليوم؟

- كان عندي شغلٌ كثير وانت تعرفين النساء وكلامهنّ الكثير الذي لا ينتهي أبدًا وقصصهنَّ التي لا تنتهي.

ابتسمت الجدّة وهي تهزُّ رأسها وتضحك مردّدةً:

- صدقت يا ابنتي، لو يعرفنَ بأنَّ معظم أهل النار من النساء بسبب ألسنتهن ما فعلن، والله وما فتحن أفواههن للحديث عن فلانة وما تفعله ولاهتممنَ بأمورهنَّ الخاصّة فقط.

- لا تقولي هذا يا جدتي فنحن مسكيناتٌ كالفراشات

الرقيقة، ابتسمت الجدّة:

- هل تناولت طعامك يا فراشة فشكلك مرهقٌ ووجهك أصفر كالليمون وعندك أنيميا، أرى ذلك في عينيك الجميلة.

- ضحكت وهي تردّد:

- جدّتي الطبيبة لا تقلقي فلقد تناولت الفطور متأخرًا ولا أريد فعل شيءٍ سوى النوم فأنا منهكة.

ردّت الجدّة بعتاب:

- فطرت! هل تمزحين يا ميّادة ألا تنظرين للمرآه وتري وجهك والسواد تحت عينيك، وأنت التي تبيعين مستحضرات التجميل والزينة للنساء، فكيف ستثق فيك النساء يا غبيّة بمنظرك هذا وهيأتك تلك؟

- أنا مرهقةٌ وأريد النوم، سوف أنام ساعتين وبعدها أستيقظ لأتناول الغداء، وأضع أطنانًا من مستحضرات التجميل غدًا، أقسم لك.. ولكن دعيني أنام، ومالت لتحتضن جدّتها بحنان، همست الجدّة بغيظ:

- لو ترين صورك عندما كنت صغيرة وكيف كنت تحبين وتعشقين الطعام، كنت تأكلين كلَّ شيء وأحيانا كنّا نخاف أن تأكلينا نحن أيضًا، كنت كالبطة البلدي وضحكت بصوتٍ عالٍ.

- ضحكت هي الأخرى وهي تردّد :

- لم أكن كالبطة البلدي يا جدتي بل كنت كالعجل الأسترالي، سمينةٌ لدرجةٍ مرعبةٍ ومخيفة، وتعلفونني للعيد الكبير. كلّما نظرت لصوري القديمة أضحك كيف تركتموني أصل لذلك الحجم، كنت أكثر من ١٥٠ كيلو وكنت مازلت طفلة في الابتدائي، فلا تعرفين كم مرّةً تنمّر عليّ زملائي وجعلوني أكره المدرسة والشارع ولا أريد الخروج من المنزل بسبب التنمر والتريقة على وزني الكبير.

قالت الجدّة بشرود:

- لقد كنت تعشقين الطعام وكانت أمّك رحمها الله تعتقد بأنّها صحةٌ وعافية، وكثرة الأكل مفيدةٌ لك فكانت تضع لك أطنانًا من الطعام باستمرار، حتى أدمنت الطعام وكنت تأكلين ولا تشبعين أبدًا كيأجوج ومأجوج، لم تكن تعرف بأنّها تضرُّ بصحتك بما تفعل وبكثرة الطعام تمرضين، وهنا قاطعتها بخبث:

- مثلك الآن تمامًا، تريدين إجباري على تناول الطعام، لكزتها الجدّة بحنان:

- شقيةٌ كأبيك رحمه الله، الوضع مختلفٌ حبيبتي، أريد فقط أن تتناولي طعامك لتحافظي على صحتك، فلا كثرة

الطعام تفيد ولا قلته تنفع، فالكثير منه سيضرُّ بصحتك والقليل منه سيمرضك، خيرُ الأمور الوسط كما أخبرنا نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام، وهيّا اذهبي وتناولي طعام العشاء، فزوجة خالك أعدّت طعام الغداء اليوم، دجاجٌ وملوخيّة وأرزّ.

- هتفت بغيظ، هل تمزحين؟ ولماذا لم تنزل نهلة زوجة أخي اليوم لتعدَّ طعام الغداء، فأنت تعرفين.. لا أحبُّ الأكل من يد سماح زوجة خالي رياض أبدًا.

- مروان مريض وذهبت به للطبيب وطلبت من زوجة خالك إعداد الطعام.

- نظرت بفزعٍ لجدّتها:

- مروان حبيب قلبي ماذا به يا جدتي؟ سوف أذهب لأطمئنَّ عليه؟

- حرارته كانت مرتفعه ويبدو أنه دور بردٍ شديد، ولكنّه بخيرٍ الحمد لله الآن، لا تقلقي حبيبتي.

- لذلك لم تتّصل بي اليوم وكنت أنا مشغولةً طوال اليوم بالعمل، سأذهب وأطمئنُّ على مروان يا جدّتي؟

- تناولي طعامك أوّلا فهو بخيرٍ حبيبتي.

- سأتناول الطعام مع نهلة فلن آكل من يد زوجة ابنك مهما فعلت يا جدّتي، سامحيني، ابتسمت الجدّة ولم تردّ، فهي تعرف بأنّ طعام زوجة ابنها سيئٌ المذاق وليس له أيّ طعم ولا رائحة ولكنّها تضطّر لأكله مرغمة.

- تصبحين على خيرٍ يا حبيبتي، سوف أنام لا تنسي تناولي الطعام حبيبتي من أجلي.

ابتسمت ميّادة وهي تنظر لعيون جدّتها بحنانٍ وهزّت رأسها وهي تردّد:

حاضر، لا تقلقي يا حبيبتي، وغادرت الغرفة وأغلقت باب الغرفة بهدوءٍ خلفها.

&&&

أبدلت ثيابها وتوضّأت وصلّت العشاء وبعدها صعدت إلى شقّةِ أخيها، وفتح لها ابن أخيها الصغير الباب، وأخذ يصيح بفرحٍ:

- عمّتي ميّادة مرحبًا.

- مرحبًا يا سامر كيف حالك؟

- أين الحلوى يا عمتي كما وعدتني؟

- خذ واذهب واشترِ الحلوى لك ولإخوتك من السوبر

ماركت أسفل المنزل.

- شكرًا عمتي.

وهنا سمعت صوتًا أنثويًّا يقول بفرح:

- ميّادة كيف حالك وأين كنت مختفيّةً فلم أركِ منذ يومين؟

- اقتربت منها وقبلّتها بحرارةٍ وهي تردُّ عليها:

- المحلُّ يا نهلة يأخذ كلَّ وقتي وأعود متأخرًا فلا أستطيع فعل شيءٍ غير النوم.

- تعالي واجلسي واحكي لي عن أخبارك.

- انتظري وقولي لي أوّلا كيف حال مروان الآن؟

- بخيرٍ الحمد لله، انخفضت درجة حرارته وحالته أفضل ولكنّه نائمٌ الآن.

- الحمد لله لقد أخبرتني جدّتي، فجئت لأطمئنَّ على سامر قبل النوم.

- هل تناولت طعام العشاء؟

- لا، وأنت تعرفين السبب.

- أطلقت ضحكةً طفوليّةً عالية وهي تردّد:

- يبدو أن حماتك تحبّك، فلقد أعددت مكرونة بالباشامبل منذ قليل.

- مكرونة بالباشميل، لهذا أنا أحبّك زوجة أخي، هيا بسرعة فلم أتناول أيّ شيءٍ منذ الظهر، وقفت زوجة أخيها تنظر لها طويلًا بشفقة، وبعدها ذهبت للمطبخ لتحضّر لها الطعام، كانت تريد قول شيءٍ ولكنّها لم تقل وفضّلت الصمت، لاحظت ميّادة الأمر فدخلت خلفها المطبخ وهي تردّد:

- ما الذي تريدين قوله؟

- ردّت بتوترٍ لا شيء، لا تشغلي بالك.

- نظرت لها طويلًا وهي تقول:

- هيا أخبريني يا نهلة، فقبل أن تكوني زوجة أخي فأنت صديقتي الوحيدة بالحياة.

- هل أنت بخير يا ميّادة؟ هل هناك شيءٌ غريبٌ يحدث معك في المحلّ في هذه الفترة؟

- لا شيء غريب الحمد لله، كلُّ شيءٍ بخير.

- الحمد لله، لقد رأيت حلمًا غريبًا وقلقت عليك أمس.

- حلم؟ هل كلّ هذا من أجل حلمٍ زوجة أخي الجميلة؟

- لا أدري ولكنّك تعرفين بأنّ أحلامي يكون لها معنىً دومًا وتتحقّق، غير أنّ مروان استيقظ ليلًا وأخذ يصرخ باسمك وقال بأنّ الوحش يطاردك، فزاد خوفي وقلقي عليك فهل أنت بخير؟

- ماذا رأيت بالمنام يا نهلة، أخبريني؟

- رأيت أنّ هناك شيئًا أسودًا مخيفًا وله ظلٌّ أطول منه يتبعه، كان الاثنان يتبعانك في المحلّ، وكلّما خطوت خطوةً نظر لك الشيء وظلّه وكأنّه سيهجم عليك ولكنّه ينتظر الفرصة بعيونه الحمراء، وكأنّه ينتظرك لينقضّ عليك وأنت كنت منهمكةً في رصّ الأشياء فوق الرفوف وتعطينه ظهرك ولا ترينه خلفك على الجدار، لا أدري شعرت بأنّه يبدو كظلٍّ امرأة ولكنّ ملامحها غير واضحة، ولكنّني شعرت بشرّها الشديد وانقبض قلبي بشدّة، واستيقظت على صوت مروان وهو يصرخ مردّدًا:

- عمتي ميّادة الوحش سيأكلها في المحلّ، في نفس اللحظة تقريبا.

نظرت ميّادة بقلقٍ وردّدت قائلةً:

- وماذا قال مروان؟

ابتلعت ما في حلقها بصعوبة وهي تردّد:

- نفس الشيء تقريبًا، قال بأنّ هناك وحشًا أسود وآخر طويل يريدان أكلك، ووضعت يدي على رأسه فكانت حرارته عالية ويهذي من الحمّى، فأعطيته قرص بانادول وقمت بعمل كمادّاتٍ مثلّجةٍ على رأسه.

- ربّما كان يهذي من الحمّى يا نهلة.

- لا أدري ولكنّنى أشعر شعورًا سيئًا فهل أنت بخير؟ والمحلّ، هل حدث شيءٌ غريبٌ بالمحل اليوم؟ معك..

- صمتت قليلًا ولم تدرِ لمَ جالت بخاطرها التوأمتان راوية وثرّيا فقالت بشرود:

- لا، فكلُّ شيءٍ بخير، الحمد لله.

- هل تقولين الصدق يا ميّادة؟

- لم يحدث شيءٌ غريب، أقسم لك، كلُّ شيءٍ بخير ولماذا سأخفي عنك أيّ شيء؟

- أتمنى من الله أن يحافظ عليك ويحميكِ، لا تقطعي القرآن الكريم من المحلِّ يا ميّادة فهو خير حافظ.

- لا تقلقي، أفعل ذلك يوميًا، والآن هل ستتركينني جائعة وسنظلُّ نتحدّثُ عن تلك التفاهات؟ أين المكرونة؟ سأموت جوعًا، أسرعي.

ابتسمتا معًا وبعد أن تناولت طعامها واطمأنّت على ابن أخيها، ذهبت لشقّة جدتها لتنام، فلقد كانت مرهقةً وتشعر بالتعب، ولكنَّ كلام نهلة ظلَّ يطاردها وهي تردّد:

- «هناك شيءٌ أسود وظلّه، شيءٌ أسود وظلّه، شيئان متلازمان.

وهنا قفزت صورة راوية في عقلها، وعيونها الخضراء الجاحظة وهي تنظر لها بطريقةٍ غريبة، نفضت الفكرة عن رأسها فالمرأة لم تفعل لها شيئًا ولكنّها ودودةٌ أكثر من اللازم، بطريقةٍ مخيفة. وهنا دخلت لتلقي بنفسها فوق الفراش كالجثّة من شدّة التعب، ولم تلاحظ تلك الأصوات الخافتة من شدّة تعبها طوال اليوم،

« تيك تاك توك..تيك تاك توك..تيك تاك توك....»

***

فتحت عينيها على صوت تيك تاك توك، كان الصوت عاليًا بصفيرٍ مزعجٍ للريح من حولها، فوضعت يديها لتغطّي أذنيها وهي تصرخ مردّدةً:

- كفى، إنّه مؤلم..كفى..

ولكنّ الصوت أخذ يتعالى ولم يبالي بصرخاتها التي تدعوه

أن يكف، فأخذت تركض كالمجنونة، كانت بلا حذاءٍ في قدميها وبثياب النوم القصيرة، وشعرها ثائرٌ خلف ظهرها بجنون، أخذ الصوت يزداد:

- تيك تاك توك..لقد قتلتيها، قتلتيها يا قاتلة..تيك تاك توك ستموتين ستموتين قريبا...تيك تاك توك فمثلك يستحقون الموت الموووووووووت..

أخذت تركض بلا هدف وهي لا تدري أين هي فلقد كان المكان غريبًا، أكوامٌ من التراب وتلالٌ وأحجارٌ في كلِّ مكانٍ من حولها، خرابٌ ودمارٌ ودخانٌ يتصاعد من لا شيء، الغبار يعمي عيونها فكيف يمتزج مع ذلك الدخان الأبيض، أصوات آهاتٍ ممتزجةٍ بالألم والأنين، رائحة زفرة الدم المميّزة تنتشر من حولها لتكتم أنفاسها، ظلامٌ ضبابيٌّ مخيف، لا تستطيع رؤية أصابع يديها فيه، ولكنّها تسمع الأنين لأشخاصٍ كثر، لا تعرف من هم ولمَ يعذبون من حولها، لماذا لا تراهم ولكنّها تشعر بما يعانونه من ألم، أخذت تصرخ ومازال الصوت يتعالى:

- تيك تاك توك..لقد قتلتيها قتلتيها يا قاتلة..تيك تاك توك ستموتين ستموتين قريبا...تيك تاك توك فمثلك يستحقون الموت الموووووووووت..

صرخت بلاااااااااااااااااااا توقف أنا لم أقتل أحدًا، لم أقتل

أحدًا وبعدها أخذت تركض كالمجنونة بلا هدف ولا هويّة، لا تدري ماذا يحدث وأين هي ولمَ يردّد بأنّها قاتله..

رأت ذلك الشيء الأسود وهو يقف في نهاية الطريق، كان غير واضح المعالم ولكنّه كان طويلًا جدًّا، يصل لأكثر من ثلاثة أمتارٍ كاملة، شهقت بفزع، لا تدري ماذا يريد الشيء منها؟

حاولت الرجوع للخلف برعب، ولكنّ قدمها العارية جرحت بقطعة من الزجاج بين التراب على الارض، صرخت بألمٍ والدماء تنزف من جرح قدمها، حاولت أن تنحني لتنزع قطعة الزجاج من قدمها، ولكنَّ الشيء الأسود أخذ يقترب منها بسرعةٍ كبيرة، وكأنّه يطير فوق الهواء، شعرت بتلك الوغزة في صدرها والألم، كانت تشعر بأنّها ستموت لا محالة، ولكنّها أخذت تركض والهواء الشديد من حولها يحرّك كلّ شيءٍ لأعلى، أخذت تلال الرمال ترتفع لأعلى وتلتف حول نفسها في صورةٍ دائريّةٍ، وكأنّها دوّامةٌ تبتلع كلّ شيءٍ في طريقها، كانت لا تدري إلى أين تذهب وأين ستحتمي مما هي فيه، فالعاصفة من أمامها تأكل كلَّ شيءٍ في طريقها وتبتلعه، ومن خلفها ذلك الشبح يطاردها، فأين المفرّ والسبيل ممّا هي فيه وكان الألم يزداد والدماء تنزف بغزارة ورائحة الموت تحيط بها، وتلك الأصوات لا تتوقف..

- تيك تاك توك..لقد قتلتيها قتلتيها يا قاتلة..تيك تاك توك ستموتين ستموتين قريبًا...تيك تاك توك فمثلك يستحقون الموت الموووووووووت..

***

وهنا لم تستطع وكادت تلفظ أنفاسها الأخيرة من شدّة الرعب والألم، فصرخت بكلٍّ ما تملك من قوّة:

- لااااا لم أقتل أحدًا.

شعرت بتلك الهزّة الأرضيّة التي تهزُّ كلَّ شيءٍ من حولها والأرض تتحرّك من تحت قدميها، وصوتٌ يردّد اسمها من بعيد:

- ميّادة..استيقظي حبيبتي إنّه كابوس..

فتحت عينيها فوجدت جدّتها تقف فوق رأسها وعلى ملامحها القلق ممتزجٌ بالتعب والمرض، وتردّد بصوتها الحنون:

- استيقظي حبيبتي.

كانت ميّادة تنظر لها برعب، لا تصدق بأنّ ما رأته منذ قليل كان كابوسًا، لقد كان كلُّ شيءٍ حقيقيًا وحتى الألم كان حقيقي، رفعت الغطاء لتنظر لقدمها التي كانت تؤلمها بشدّة،

لم تكن هناك دماءٌ تنزف ولكن آثار جرحٍ قديمٍ وغُرَز وخياطة طبيّة قديمة، مكان الجرح كانت يؤلمها، قالت وهي تتحسّس قدمها:

- جدتي، كيف أصبت بذلك الجرح قولي لي الحقيقة بالله عليك.

- زفرت الجدّة بضيقٍ وهي تردّد:

- لقد أخبرتك مرارًا لقد كانت حادثةً عندما كنت صغيرة وانقلبت بك الحافلة مع والديك رحمهما الله وذلك منذ سنوات يا ابنتي..

- ولماذا ذلك الكابوس يطاردني يا جدّتي أخبريني، لقد اقترب الشيء الأسود منّي كثيرًا تلك المرّة، وكان يردّد بأنّه يجب أن أموت لأنّني قاتلة.

- استعيذي بالله من الشيطان الرجيم، وانهضي و توضأي وصلي الفجر فيبدو أنّك أكلت كثيرًا على العشاء ونمت بعدها مباشرةً وحذرتك من ذلك كثيرًا.

- لقد أكلت طبقين من المكرونة بالباشميل ونمت حقًّا..

- ألم أخبرك؟ هيا استعيذي بالله من الشيطان الرجيم وقومي صلّي، نهضت من فوق الفراش بتكاسلٍ ومازالت

دقّات قلبها تتسارع وصدرها يعلو ويهبط من شدّة التوتّر، ألقت نظرةً على جرح قدمها وهي لا تتذكّر شيئًا ولا أيّ حوادثٍ ولا إنقلاب حافلة، فهل كانت صغيرةً لتلك الدرجة ولكنّهم أخبروها أنّها كانت في العاشرة من عمرها عندما كانت في رحلةٍ مدرسيّة، فلمَ لا تتذكّر شيئًا، كانت ترى الكابوس كلّ فترةٍ و......

عندما كانت أمّها مازالت على قيد الحياة، كانت تأخذها في حضنها وتضمّها بقوّةٍ إلى صدرها حتى تهدأ وتشعر بالأمان، ولكن لقد رحلت أمّها منذ خمسة أعوام، فلم يعد ذلك الصدر الدافئ يضمّها إليه ليخبرها بأنّها مازالت بخير وبأنّه بجوارها ولن يتركها مهما حدث..

أخذت دموعها تتساقط، لقد كانت تحتاج إلى صدر أمّها لترتمي في أحضانها وتغمض عينيها لتشعر بالأمان وتنام، لم يكن الكابوس بتلك البشاعة من قبل، كان الشيء يظلُّ مكانه بهيئته السوداء المرعبة، كانت الرمال كما هي، كانت دومًا تقف حائرةً بينهما وتسمع لتلك الأصوات العالية التي تشعرها بالرعب وتخبرها بأنّها قاتلةٌ وستموت، لم يقترب منها أحد فلماذا يهاجمها الشيء الآن؟

أخذت الأصوات تتردّد في أذنيها من جديد والكابوس بتفاصيله في عقلها، وكانت الجدّة تنظر لها بقلقٍ حقيقيّ،

فلقد كانت حفيدتها مرعوبة حقًا وخائفة تلك المرّة، ولمَ تطاردها تلك الكوابيس منذ سنوات عديدة ولا تعرف سببًا لها غير ما يردّدون بأنّها أصيبت بالكوابيس من بعد الحادثة التي تعرّضت لها وهي صغيرة..

- تيك تاك توك..لقد قتلتيها قتلتيها يا قاتلة..تيك تاك توك ستموتين ستموتين قريبا...تيك تاك توك فمثلك يستحقون الموت الموووووووووت..

(٣)

كانت تشعر بالإرهاق والتعب الشديد...صداعٌ نصفيٌّ في منتصف رأسها، تكاد رأسها تنفجر من الألم، وكأنّ أحدهم ضربها بمطرقةٍ من الحديد فوق رأسها بقوّةٍ فجعلها لا تستطيع الرؤية بوضوح فكلُّ شيءٍ كان مشوّشًا، رفعت الباب بمساعدة ذلك الشاب الذي كان يمرُّ بجوارها فطلبت منه المساعدة، لم يتأخر الشابُّ وقام بمساعدتها على الفور.

دخلت وألقت بجسدها فوق المقعد، وهنا رنَّ هاتفها الجوال وكان خطيبها يسري، لم يكن لديها الرغبة في التحدّث مع أحد ولكنّها ردّت عليه، وشعرت بالارتياح عند سماع صوته الحنون وهو يردّد:

- قطّتي الصغيرة لماذا لم ترنَّ عليَّ عندما استيقظت لأطمئنَّ عليها قبل النزول للعمل..

وهنا لم تتمالك نفسها وأخذت تبكي بصوتٍ عالٍ، وهنا شعر يسري بالقلق الشديد فقال بصوتٍ متوتّر:

- ماذا حدث يا ميّادة؟

- لا شيء، أشعر بالاختناق والصداع فقط..

- هل كلُّ ذلك البكاء وتقولين لا شيء، ماذا حدث؟

- نفس الكابوس يا يسري، لا أدري لماذا يطاردني منذ سنوات..

- شعر بالقلق الحقيقيّ عليها فهو يعرف بقصّة ذلك الكابوس الذي يطاردها منذ سنوات، ولكن على فتراتٍ متباعدة فقال محاولًا طمأنتها:

- هل كلُّ ذلك البكاء من أجل نفس الكابوس؟ فما الجديد فلقد اعتدت عليه، ويبدو أنّك نمت مرهقةً وأثقلت بالعشاء أمس.

- لا، لقد كان الكابوس تلك المرّة مختلفًا، لقد اقترب مني الشبح الأسود بشدّة تلك المرّة حتى كاد يفتك بي وكان له ظلٌّ أقبح منه..لقد استيقظت وكاد يقتلني يا يسري ويردّد بأنّني قاتلةٌ وأستحقُّ الموت..

وبعدها أخذت تبكي بصوتٍ عالٍ..

حاول خطيبها أن يطمئنها ويهدّىء من روعها وهو يردّد قائلًا:

- اهدئي حبيبتي إنّه مجرّد كابوس، سيكون كلُّ شيءٍ بخير، لا تقلقي.

- هل ستظلُّ معي يا يسري ولن تتخلى عني وتبتعد؟

- أنت تعرفين بأنّي لن أتخلى عنك وأتركك مهما حدث يا صغيرتي..

- عدني..

- أقسم لك، فلن أتخلى عنك وسأكون بجانبك لآخر لحظةٍ في حياتي، ألا تعرفين كم أحبك يا أميرتي.

ابتسمت وشعرت بالتحسُّن، فمن الجميل أن تشعر بأنّ أحدهم سيبقى معك ولن يتخلى عنك مهما فعلت، ويعدك بذلك بإستمرار ويظلُّ يخبرك بأنّه سيظلُّ بجانبك مهما حدث وسيحميك لآخر نفسٍ في حياته.

قالت بصوتٍ حنون:

- شكرًا لك يا حبيبي لا تدري كم أحبُّك، وأتمنى أن تغفر لي إن أخطأت يومًا في حقّك بدون قصد ولا تتركني حتى وإن قلت لك أنا ذلك فثق بأنّه سيكون من وراء قلبي.

ابتسم بارتياحٍ وقد شعر بتحسُّن صوتها:

- أخبريني ماذا أفطرتِ؟

- لم أتناول الفطور بعد فليس لدي شهيّة لوضع أيٍّ شيءٍ في فمي...

- لا تمزحي، لابدّ من تناول الطعام، فوجبة الإفطار من أهمِّ

الوجبات، انتظري أنا قريبٌ منك سآتي وأحضر إفطارًا مميّزًا وتحبينه لنتاوله معًا..

- قريب، هل تمزح؟ وما الذي أتى بك إلى عين شمس؟

- أحقّق في حادثةٍ ولقد انتهيت..

- حادثة!

- جريمة قتل صبيٍّ صغير لم يتجاوز العاشرة من عمره، وجدوه مذبوحًا وجثّته خاليةٌ من الأعضاء الداخليّة..

- يا ساتر، ماذا تقول يا يسري؟

- هذا للأسف الشديد ما حدث، يبدو بأنّها سرقة أعضاء..

- لا أدري ماذا أقول لك، ولكن تلك الأيام نسمع عن حوادث بشعة بطريقةٍ كبيرة، وأشعر بالخوف فماذا حدث في الدنيا وأين الأمن والأمان؟

- لا تخافي، الأمن موجودٌ والأمان ولكن مع انتشار وسائل التواصل الاجتماعيّ، وسهولة نقل الأخبار والتقاط الصور والفيديوهات ونشرها ظهرت الحوادث بصورةٍ أبشع وأصبحنا نراها بأعيننا وكنّا في الماضي لا نسمع حتى بها، فعددنا تجاوز ١١٠ مليون نسمة في مصر، فجريمةٌ يوميًا لا شيء، عددٌ قليلٌ صدقيني، لا يقارن بعددنا ويحدث في

معظم بلاد العالم.

- أكره الحوادث وسماع أخبارها يا يسري، من فضلك غيّر الموضوع بالله عليك..

- أطلق ضحكةً ساخرةً بصوتٍ عالٍ:

- تكرهين الحوادث وستتزوجين من يبحث عنها ليكتب خبرًا في جريدته، فهو عمله يا قطّتي الصغيرة ومصدر رزقه، فلا مفرّ.

ابتسمت رغمًا عنها وهي تقول:

- لا تتأخر سأنتظرك أيها المشاغب فكلامك أشعرني بالجوع..

وضعت الهاتف وهي تبتسم وهنا التفتت لتجد أمامها التوأمتان راوية وسميّة تنظران لها بطريقةٍ غريبةٍ كعادتهما الغريبة، أطلقت صرخةً عاليةً من شدّة الفزع، فلم تدرِ متى دخلتا إلى المحل وكيف لم تنتبه لخطواتهما، فقالت راوية ببرود:

- هل أفزعك وجودنا يا ميّادة؟

- ردّت بصوتٍ متحشرج:

- لا لا لكنّني لم أنتبه لكما وكنت أتحدّث بالهاتف مع

خطيبي..

- هل تحبينه لتلك الدرجة التي تجعلك لا تلتفتين لما يحدث من حولك عند الحديث معه؟

فاجأتها بالسؤال المباغت فهزّت رأسها بخجلٍ ولم تردّ عليها، بل نظرت لسميّة بتوتُّر، فلاحظت بأنَّ عيونها بلا حياةٍ ولا تعبيراتٍ كالموتى تمامًا، ليس بها أيُّ شيءٍ، فقالت بخوف:

- هل أنت بخيرررر سميّة، قاطعتها راوية بعصبية:

- هي بخير لا تشغلي بالك بها بل اهتمي بشؤونك وأحوالك أنت وانتبهي لنفسك، ردّدت هي بقلق:

- ماذا تقولين لا أفهم..وهنا ابتسمت ابتسامتها الصفراء وهي تنظر لعيون أختها:

- أقصد بأنّ أختي بخير ولكنّك تبدين لست بخير فما بك؟ وما الذي يشغل بالك وعقلك؟ ووجهك أصفر والسواد يحيط بعينيك..

- لا شيء الحمد لله، بخير، هل تريدان شيئًا؟

- نريد أن نشتري لصديقتنا بالعمل هديّةً لعيد ميلادها، ردّدت ميّادة الكلام ببلاهة وكأنّها لم تفهم ما تقول هديّةٌ أخرى؟

- نعم، هديّةٌ أخرى، العطر الذي اشترينا منه أمس رائع، أريد زجاجتين ونفس علبة المكياج، فلقد أعجبتني أنا وأختي، نَظَرَتْ لهما بتعجُّبٍ ولم تنطق، بل أحضرت ما طلبت بآليه وكان نفس السعر ثلاثة آلاف جنيه ونصف، كانت ترى بأنّ ما يحدث غريب وليس طبيعيًا.

فثياب التوأمتان وهيأتهما لا توحي بأنّهما ثريتان ومن طبقةٍ اجتماعيّةٍ عالية، بل كلُّ شيءٍ فيهما أقلّ من العادي، ثيابهما، إكسسوراتهما، أدوات التجميل الرخيصة التي يضعنها على وجهيهما، وحتى ذلك العطر الرديء الذي يفوح من ثيابهما، كلُّ هذا لا يدلُّ على أنّهما تستطيعان دفع هذا الرقم في هدايا في يومين أبدًا، أخذت راوية الشنطة التي تحوى العطور وعلبة المكياج من يدها وأعطتها النقود..

ومازالت تبتسم ابتسامتها السمجة الصفراء، التي لا تفهم معناها وردّدت:

- سنحتفل معك في يوم مولدك فهو نفس يوم مولدنا يا ميّادة.

- ومن أخبرك بأنّنا في نفس اليوم، أطلقت ضحكةً عاليةً ونظرت لها مردّدةً :

- يبدو أنّ الصداع شديد لدرجة أنّك لا تتذكرين بأنّك

أخبرتينا بذلك بنفسك أمس..

- لا أتذكر بأنّني أخبرتكما والتفتت لتوأمتها مردّدةً:

- هل فعلت يا سميّة حقًّا؟

نظرت سميّة لعيون راوية قبل أن تتحدّث ثمَّ قالت:

- يوم عيد الأم لقد قلتِ وهو نفس يوم مولدنا أنا وأختي.

خرجتا من المحل وتركتاها تشعر بالحيرة فهل أخبرتهما ولكن متى، فهي لا تتذكّر بأنّها فعلت ذلك، وفي تلك اللحظة رأت خطيبها يسري يقف أمامها يبتسم بقلق:

- هل تحدّثين نفسك يا أميرتي؟

- نظرت له بفرحٍ وقد غمرها شعورٌ بالأمان وهي تردّد:

- هل رأيتهما إنّهما غريبتان، لقد إشترتا نفس الهدايا بمبلغٍ كبير كما فعلتا أمس، هل تصدّق يا يسري؟

- وما المشكلة؟ هما حرّتان يا حبيبتي في أموالهما.

- ألم ترَ ثيابهما الرخيصة وهيئتهما يا يسري، من أين يحضران المال؟ ولو كان عندهما فالأفضل أن يشتريا ملابسًا غالية وقيّمة لهما.

- لم أرَ أحدًا يا ميّادة ولم ألاحظ ملابس أحدٍ فلا أهتم لأمرٍ

الآخرين وشؤونهم وأنت تعرفين ذلك جيّدًا.

- كيف؟ لقد خرجتا في اللحظة التي دخلت أنت فيها المحل، كيف لم ترهما لا افهم؟

- لم أرَ سوى امرأةٍ أربعينية ترتدي الأسود، ممتلئةٌ قليلًا وعيونها خضراء وكانت تحمل حقيبةً كبيرةً غالبًا من شنط المحل.

- غالبًا هي راوية وكانت معها سميّة توأمتها، كيف لم ترها؟ فهما لا يسيران إلّا مع بعضهما البعض..ولا تتحدّث إحداهما إلّا عندما تصمت الأخرى وتأذن لها بالتحدث، إنّهما غريبتان.

- ربّما لم أنتبه فعقلي مشغول، أو ربّما أسرعت هي لشراء شيءٍ وسبقت أختها، ربّما من يدري. ولكن لم تشغلين عقلك بهما يا حبيبتي فدعيهما وشأنهما أفضل فلم تؤذيانك في شيء.

- لا أعرف إنّهما غريبتان قليلًا.

- كلُّ التوائم غرباء وتصرفاتهم غريبةٌ بعض الشيء تربطهم علاقةٌ غير مفهومة مع بعضهم البعض.

- كيف لا أفهم.

وهنا زفر بتوتر وهو يقول :

- منذ زمنٍ كان لنا جيرانٌ في منزلنا القديم بالقلعة، جارةٌ اسمها أمُّ شريف كان عندها توأمان، كان عمرهما خمس سنواتٍ عندما أتت لتسكن في الشقّة التي في الطابق الأوّل مع أطفالها الثلاثة، شريف وإخوته التوأم شرف وأشرف كانا غريبان، ولا يلعبان إلّا مع بعضهما البعض فقط..

كان شرف شريرًا ويحب أذية الناس وضرب الأطفال والقطط وتعذيبها، وكان أشرف يقف يشاهد..

ما يفعله أخوه فقط ولا يتكلم فقط يهزُّ رأسه بالموافقة.

بدؤوا في إزعاج الجيران وكانت مشاكل كثيرة وشجارات، وكانت أمُّ شريف تعتذر للجميع بأنّهم أطفال وكانت تضربهما باستمرار ولكن لم يدفع هذا الصبيان للكف عما عمّا يفعلان من أذيه، وفي يوم يومٍ رأت جارتنا قط أسود في مدخل البيت، فجن جنونها وكانت تخاف القطط فأخذت تضربه بعصا كبيرة حتى جرحت رأسه وأصابته بشدة وفر القط هاربا وفرَّ القطُّ هاربًا وهو يموء بألم..

وكانت المرأة تعتقد بأنّه قطُّ التوأمين وقد وضعاه في مدخل المنزل ليخيفا السكان..

في نفس الوقت سمعنا صراخ أم شريف المذعور وهي تقول لقد قتلوا إبني وكان صراخها عالي، تجمع، تجمّع

الجيران وشاهدنها تحمل ابنها شرف وهو غارق في دمه وتجري به على المستشفى، وبعدها مات الصبي وعرفنا بأنه كان يتحول إلى قط بالليل، فالتوأم يتحولون لقطط ليلا ليلًا، ولقد قتلته جارتنا عندما أصابت القط الأسود الذي كان يتجول في العمارة وهي لا تعرف بأنه أحد التوأمان..التوأمين.

- وهنا ضحكت ميّادة بسخرية:

- وهل تصدق تلك التخاريف يا يسري ...؟ نظر لها بشرود وهو يقول بصوت غريب:

- لو لم أرَ بعيني ما حدث، ما صدّقت شيئًا رغم صغر سني، لقد ماتت جارتنا التي ضربت القطّ

ميتةً بشعة، وقد هشّم أحدهم رأسها وسقطت من أعلى السلّم ولم يعرف أحدٌ من الفاعل ولكن كانت الخدوش تملأ جسدها، وكانت الأشياء الغريبة تحدث ليلًا بعد موت شرف.

لقد مات اخيه التؤام أخوه التوأم بعدها وسقط في نفس المكان الذي ماتت فيه جارتنا رحمها الله، ونفس مكان ضرب القطة وتعذيبها وتعذيبه، فيقولون بأن التوأم لا يستطيعان العيش بدون بعضهما البعض، فإن مات أحدهما مات الأخر بنفس الطريقة ونفس الأعراض وكأنه كان يشعر بما شعر به

أخيه وقت خروج روحه..

لا أعرف، كانت العديد من الأشياء الغريبة تحدث في نفس موعد موت الصبي، وكنّا نموت من شدّةِ الرعب ومن تلك الأصوات التي كنّا نسمعها ليلًا عندما كنّا نصعد الدرج، وتلك القطّة السوداء التي سكنت العمارة ولم يستطع أحدٌ إخراجها من المنزل، كانت دومًا تلعق الرمال مكان موت الجارة والطفل وكان الجميع يخاف، ولم يفلح الشيوخ في إخراجها ولا حتى السحرة. لا اعرفأعرف، كانت العديد من الأشياء الغريبة تحدث في نفس موعد موت الصبي، وكنّا.. نموت من شدّةِ الرعب ومن تلك الأصوات التي كنّا نسمعها ليلًا عندما كنّا نصعد الدرج، وتلك القطّة السوداء التي سكنت العمارة ولم يستطع أحدٌ إخراجها من المنزل، كانت دومًا تلعق الرمال مكان موت الجارة والطفل وكان الجميع يخاف، ولم يفلح الشيوخ في إخراجها ولا حتى السحرة.

وكنا نموت من شدة الرعب ومن تلك الأصوات التي كنا نسمعها ليلا عندما كنا نصعد الدرج، وتلك القطة السوداء التي سكنت العمارة ولم يستطع أحد إخراجها من المنزل، كانت دوما تلعق الرمال مكان موت الجارة والطفل وكان الجميع يخاف، ولم يفلح الشيوخ في إخراجها ولا حتى السحرة..

- فقالت هي بتوتر: وماذا فعلتم بعدها..

- بعد أن بدأت الحوادث تحدث والأشياء الغريبة، كان الكلُّ يعيش في رعبٍ كبير وترك العمارة الكثيرون، وكان أبي رحمه الله يخاف علينا، فتركنا الشقة وانتقلنا لشقّةٍ جديدةٍ استأجرها لنا أبي، لقد كانت فترةً صعبة، أصيبت أمّي بحروقٍ في يديها بعد أن اشتعلت النيران بالشقة من غير سببٍ واضح، فتعبت أعصابها، ولم نتحمّل فرحلنا وتركنا الشقة.

- لقد كانت فترة صعبه وأصيبت أمي بحرق في يديها بعد أن إشتعلت النيران بالشقة من غير سبب واضح، فتعبت أعصابها، ولم نتحمل فرحلنا وتركنا الشقة..

- وماذا عن أم شريف ماذا فعلت..؟

- يقولون بأنها ماتت هي وشريف محروقة في الشقة بعد أن اشتعلت النيران فيها ليلا..ليلًا.

- لا حول ولا قوّة إلّا بالله، وأين زوجها؟

- لا أحد يعرف، رحمها الله ورحمهم جميعا..

- رحمها الله وغفر لها يبدوا إنها، يبدو أنّها عانت قبل أن تموت، وحتى طريقة موتها كانت بشعة..

- لا تهم طريقة الموت فالموت بالنهاية واحد، وبسبب قصّة أمِّ شريف وما عشته عندما كنت صغيرًا أحببت الحوادث

والتحقيق فيها والبحث خلف كلِّ ما هو غريبٌ يا أميرتي الصغيرة، فالرجل الذي معك ليس بالرجل الهيّن أبدًا فاحذري يا قطّتي من ذكائي وما يمكن أن أفعله عند وضع شيءٍ في عقلي للبحث عنه والتحري، ابتسمت لدعابته وهي تردّد بتوتر:

- هل كل التوأم التوائم غريبوا أطوار هكذا..؟هل كلُّ التوائم غريبوا أطوارٍ هكذا؟

- لا أعلم ولكنْ كلُّ من قابلتهم كانوا غريبي أطوار، يشعران ببعضهم البعض بطريقةٍ غريبة، وخصوصًا التوأم المتماثل المخلوقان في كيسٍ واحدٍ بالرحم وليس لكلِّ جنينٍ كيسٌ منفصلٌ وحياةٌ منفصلة.

- أعتقد أن راوية وسميّة توأم متماثل، فهما متشابهتان في كل شيء تقريبا شيءٍ تقريبًا.

- دعيهما وشأنهما ولا تتعاملين معهما مادامت تسببان لك كل ذلك التوتر..التوتّر.

- هما لم تفعلا شيئاشيئًا، بل بالعكس تدفعان وتشتريان الهدايا الغاليه وأستفيد منهما كثيرا ، ولكنى متعجبه، ولكنّي متعجّبةٌ، ولكنّي متعجّبةٌ من تصرفاتهما الغريبة فقط، أصاب بالتوتر في وجودهما، اشعر بأن بأنّ لديهما طاقة سلبيه

سلبيةً كبيرة وشيء سيء ..وشيئًا سيّئًا...

قاطعها خطيبها بجدّية مردّدا:

- مادامت لا تؤذيانك بشيء ولا تضايقانك، فلا تدخلي في شؤنهما أفضل، فمن تدخل فيما لا يعنيه سمع مالا يرضبه ويحبه، خذيها قاعدة في حياتك يا صغيرتي ترتاحين، لا دخل لك بشكلهما و بلبسهما هما مجرد زبونتان فقط، تعاملي معهما على هذا الأساس سترتاحي وكل إنسان حر، سترتاحين. ، سترتاحين. وكلّ إنسانٍ حرٌّ في حياته وفيما يفعل، ما دام لا يضر ولا يؤذي من حوله...

- هزت رأسها بنعم، ستفعل ورددت بصوت، وردّدت بصوتٍ خافت: حاضر ولكن كيف عرفا موعد عيد... ولم يتركها تكمل جملتها فقال:

- ماذا كنت أقول منذ قليل..

ابتسمت وقالت:

- حاضر.. أخبرني ماذا أحضرت للفطور حتى أعد الشاي..

- ابتسم وهو يردّد:

- هذه هي أميرتي المطيعة التي تدع الخلق للخالق وليس لها شأن إلا إلّا فيما يخص شأنها...

أعدت ميّادة كوبان من الشاي ولم تتكلم تتكلّم، فخطيبها على حق تماما تمامًا، وليس لها شأن بهما وليفعلا ما يشاءان ماداما بعيدا مادامتا بعيدًا عنها، وأخرج هو الشطائر الساخنة، وجلسا يتناولان الفطار وهما يتجاذبان أطراف الحديث بسعادة بسعادةٍ عن أخبار العائلة والعمل والحياة، فقد كان.. بينهما انسجامٌ وتوافقٌ كبير، حتى رنَّ هاتف يسري وليقطع ما كانا يتحدّثان فيه، وكان زميله بالجريدة، فتح الهاتف وسمع صوت زميله المتوتّر يخبره بأنّ جريمة قتلٍ جديدةٍ وقعت في عين شمس.

بينهما انسجامٌ وتوافقٌ كبير، حتى رنَّ هاتف يسري وليقطع ما كانا يتحدّثان فيه، وكان زميله بالجريدة، فتح الهاتف وسمع صوت زميله المتوتّر يخبره بأنّ جريمة قتلٍ جديدةٍ وقعت في عين شمس.

وجثةٌ لطفلٍ في العاشرة من عمره وجدوها بالقرب من الجثّة الاولى التي عثر عليها رجال الشرطة بجوار محطة مترو الأنفاق، شعر يسري بالقلق الشديد، فجثتان في نفس المنطقة وبنفس طريقة القتل وسرقة كلِّ أعضائهما شيءٌ ليس بالصدفة، بل هو شيءٌ مدبّرٌ حتمًا، أغلق الهاتف وقد تغيّر وجهه وقام ليغادر المحل وهو يردّد:

- حبيبتي، خذي حذرك من الغرباء ولا تتأخري في المحلِّ

ليلًا رجاءً.

- ماذا حدث..؟

- جريمة قتل أخرى..؟

- يا ساتر لماذا الناس أصبحت بلا قلب أو ضمير، والقتل والذبح عندهم شيء عادي وكأنهم عاديٌ وكأنّهم يذبحون دجاج.؟

- ليس كل الناس ولكن، ولكنّ القساة قلوبهم يا ميّادة وعديمو الضمير والرحمة.. احترسي لنفسك من أجلي، سأذهب الآن..

- اتصل بي عندما تنتهي لتخبرني ماذا حدث...؟

- لا تقلقي سأمر عليك عندما أنتهي فالحادثة قريبة جدا جدًّا منك..

تركها وضربات قلبها تتسارع بجنون، وهي تستعيد جملته في رأسها..

«الحادثة قريبة جدا منك»، الحادثة قريبة جدا منك...

«تيك تاك توك...تيك تاك توك....»

أسرعت على السماعة السمّاعة السمّاعة الكبيرة وقامت

بتشغيل القرآن الكريم، وأخذت تستمع لصوت الشيخ «ماهر المعقيلي» وهو يتلو صورة البقرة، وهنا شعرت بالراحة الكبيرة والأمان، ألا بذكر الله تطمئن القلوب، تنهدت براحة وبعدها براحةٍ، بعدها ذهبت لترتب وتنظف وتنظّف المحل فلم تفعل شيء منذ الصباح ولم يكن هناك وقت كافي كافٍ مع وجود خطيبها بالمكان.

***

(٤)

كانت منهمكةً في كنس المحل ورفع المقاعد والتنظيف، وهنا وجدت حقيبةً سوداء صغيرة من البلاستيك، كانت بجوار المكتب على الأرض محشورةً بين الفاترينه والمكتب في مكانٍ ضيّقٍ فلم تلاحظها، يبدو أنّها سقطت من أحدهم أو نسيها، رفعتها بين يديها ونظرت لها، قرّبتها من فمها بتقزّز، كانت رائحتها كريهةً جدًّا ، ويبدو بداخلها شيءٌ طريٌّ كاللّحم، تساءلت بصوتٍ عالٍ:

- ما هذا القرف؟ وهل نسى أحدهم كيس لحم أمس وتعفن..؟ وتعفّن؟

وهنا همت بفتح الكيس لتعرف ما الذي بداخله، ولكنها شعرت بالبرودة تسري في جسدها وقشعريرة رغم دفىء الطقس اليوم، ومع ذلك شعرت بالإختناق الشديد، أخذت تسعل بشدة ولا تستطيع التنفس بشكل طبيعي طبيعيّ فألقت الكيس على الأرض وخرجت من المحل لتتنفس هواء نقي نقيًا ويدخل رئتيها.

كان المحلُّ الذي يليها لرجلٍ عجوز يبيع المنظفات، فقال لها بتوتّر:

- ما بك يا ابنتي؟ هل أنت بخير..؟

- الحمد لله يا عم رضا، شعرت بالدوار فقط والإختناق واردت هواء بارد ونظيف وأردت هواءً باردًا ونظيفًا وليس لدى مروحة.

ابتسم العجوز مردّدًا:

- مروحة في الشتاء يا ميّادة، إصبرياصبري، الشهر القادم سوف تحتاجين لها، إن لم تحتاجى لمكيف لمكيّفٍ من شدة الحرارة واحضر لها بعدها مقعد خشبي خشبيًا وكوب ماء وطلب منها الجلوس قليلا ورفع رأسها، وذهب هو ليتابع عمله، جلست تنظر للشارع من أمامها ووجوه الناس المارة وصوت القرآن عاليا بشعرها بالراحة، كانت تفكر في التوأمتان « التوأمتين «راوية وسميّة»، ما قصتهما وهل ما أخبرتها به حقيقي...

- لقد أخبرتها راوبة بأن بأنّ زوجها توفى وبأنها وبأنّها كانت حامل ولكن الجنين ولد ميتا ..وُلِدَ ميّتًا بعد حادثة تعرضت تعرّضت لها فأدت إلى موت طفلتيها، ولم ترزق بعدها بأطفال، وتوأمتها سميّة لم تتزوج بعد رغم بأنها ستكمل الأربعون عاما عامًا، كانت قصتهما مأساوية مأساويّة وكانت تعطف عليهما، لأنهما وحيدتان بالحياة الحياة وليس لهما أحد.

ولكنها الآن لا تدري لما تشعر بالتوتر والخوف من نظراتهما

الغريبة ولوجودهما أيضا بنفس نفس المكان، هزت رأسها لتنفض تلك الأفكار السيئه من عقلها.

بعد أن شعرت بالتحسن وبأنّها أفضل، دخلت لتكمل تنظيف المكان، وهنا جاء طفلٌ صغير يبدو في العاشرة من عمره، أسمر البشرة وله نظرةٌ ثابتة وعيونٌ لا تتحرّك وجفونٌ لا ترمش ولا تتحرّك، قال بطريقةٍ آليه:

- لقد نسيت أمي كيس كيسًا كيسًا أسود أمس، تريده الآن..؟

نظرت له كثيرًا فالطفل يبدو بأنّه ليس طبيعيًا، ولكنّها حمدت الله بأنّها ستتخلّص من هذا الشيء كريه الرائحة سريعًا، قالت بتوتّرٍ:

- هل أنت بخير..

- لقد نسيت أمي كيس أسود أمس تريده الآن ..

كرر الصبي الجملة بأليه وكأنه وكأنّه لا يحفظ غيرها، فأشعرها بالتوتر بالتوتّر الشديد، فدخلت وأحضرت الكيس وهي تنظر لعيون الصبي الجامدة والخالية من الحياة وخصلات شعره الأبيض التي تملأ رأسه، مدت يدها بتقزز بتقزّزٍ، وأخذ منها الكيس ورحل بخطوات ثابته ثابتة، كانت دقات قلبها تتسارع وتشعر بالتوتر الشديد، هي حتى لم

تسأل الصبي،الصبيّ من أمك وما بداخل الكيس، كان كل هذا لا يهمها، فلقد شعرت بالراحة عندما تخلصت من ذلك الكيس كريه الرائحة وما بداخله ولا تريد أن تعرف ما الذي يوجد فيه.

رفعت صوت القرأن الكريم أكثر، وأخذت تكمل تنظيف ورص علب العطور وهي تردد ما تحفظة من القرآن الكريم، وتحوقل وتردد أيه آيه الكرسي، وتشعر ببرودة تسري في أوصالها، وصفير رياح عاليه تزئر تزأر في أذنيها..

***

كان الزحام شديد في الشارع الضيق، والعديد من الناس ملتفين حول الجثة التي وجدت ملقاه بالقرب من موضع الجثة الأولى الاولى كالذباب عندما يلتف حول قطعه من الحلوى، لم يمضي إلا ساعتين إلّا ساعتان إلّا ساعتان على إكتشاف ابجثة الأولى اكتشاف الجثّة الاولى، وكانت نوجد بالقرب من محطة مترو أنفاق عين شمس، إلتف العديدين العديدون كالجراد من حول الجثة ليشاهدوها قبل أن يرفعها المسعفون على المحفة المحفّة لنقلها للمشرحة، غير مئات الصور التي تم إلتقاطها التقاطها التقاطها من قبل الناس قبل وصول الشرطة...

كان رجال الشرطة والبحث الجنائيّ يحاولون إبعاد الناس

عن المكان، ليتمكّن رجال البحث الجنائي من رفع البصمات والبحث عن أدلة، ولكن لم يكن هناك أيّ شيءٍ سوى تلك الجثّة البائسة لطفل صغير مسكين ، وكانت الجثّة مجوّفةً تمامًا كالجثّة الاولى ليس بها أعضاء، تهامس الناس بذعرٍ، هل هي عصابةٌ لسرقة الأعضاء البشريّة؟

ومتى سيجدون الأمان،وكل يوم يومٍ يسمعون عن أبشع الجرائم التي تحدث من حولهم ولم يسمعوا بها من قبل، لقد كانوا يشعرون بالخوف على أطفالهم وبناتهم، وعلى أنفسهم أيضا، كان رجال الشرطة يصيحون في الناس أن يبتعدوا، ولكن الناس إبتعدوا لمسافة وظلوا لمسافةٍ وظلّوا واقفين، لا يعرفون لماذا لم يرحلوا بعد ولكنهم كانوا خائقين، ورؤية رجال الشرطة بالمكان كانت تشعرهم بالأمان..

فلن يجرؤ سارق الأعضاء على أذيتهم وهم في حماية رجال الشرطة، وربما يريدوا يريدون أن يعرفوا من الفاعل ولما يفعل ذلك مع طفل صغير صغيرٍ ليس له حول ولا قوة.

اقترب يسري بحذرٍ وهو ينادي على أحد رجال الشرطة مردّدا:

- بهاء باشا..

ابتسم الشابُّ الذي كان يقف مع بعض الرجال مردّدا:

- دعه يا جمال ...، تركه رجال الشرطة يمر ويدخل لمسرح الجريمة، وهنا ردد بصوته الخشن:

- مرتان في نفس اليوم أراك يا يسري! هذا كثير.

ابتسم مجاملًا وهو يردّد:

- كنت أتمنى رؤيتك في ظروف أفضل يا بهاء باشا ولكنها الظروف..

- ردّد بتقزّز وهو يمطُّ شفتيه:

- نفس طريقة القتل لصبي الصباح وهو تقريبا نفس السن ونفس الملابسات وربما نفس الجاني، فلا توجد أعضاء داخليه ولا أحشاء وأمعاء أمعاء، حتى العيون مخلوعة ، جثة فارغة، جثّةٌ فارغةٌ بلا هوية ولا إثبات شخصية ولا أي شيء يدلنا ويرشدما شخصيّة ولا أيّ شيءٍ يدلّنا ويرشدنا لمرتكب الجريمة..

- وهل قمتم بتفريغ كاميرات المراقبة يا بهاء..

- رجال المباحث مازالوا يعملون يا يسري، ولكن من أين عرفت بالحادث أيّها الخبيث؟

- مع السوشيال ميديا، وهوس التصوير فأصبحنا، أصبحنا نعرف بالجريمة قبل أن يعرف رجال الشرطة، وأحيانا

نشاهدها وقت حدوثها صوت وصورة مع بث مباشر ومع ما يحدث في تلك اللحظة ..

- عندك حقّ، إنّ الأمر أصبح لا يطاق ووسائل التواصل الاجتماعي أصبحت تستخدم بطرق سيّئة وغير صحيحة للأسف الشديد، فبضغطة زرٍّ يعرف الملايين ما يحدث وما حدث ولا يهتمّون بإنقاذ الضحيّة.

- وغير صحيحة للأسف الشديد، فبضغطة زر يعرف الملايين ما يحدث وما حدث ولا يهتمون بإنقاذ الضحية.

- مرضٌ أصاب المجتمع وخلل، وربّما من كثرة الجرائم التي يشاهدها الناس تبلّدت مشاعرهم وقست..

- مازلت ساذج يا يسري كاول مرة مرّةٍ تعرفت بك عليها بها عندما كنا جيران وبنفس جيرانًا وفي نفس المدرسة، حينها في باب الشعرية، لم تتغير افكارك المثالية المثاليّة رغم تجاوزك الثلاثين من عمرك.. ، فما يحدث بسبب الشهرة يا غبي، حب الشهرة والمال وما يوفره التقاط أول فيديو للحدث لحامله.. ، وبعدها لكزة برفق برفقٍ في رأسه وهو يبتسم.

لم يرد يسري فربما كان صديق عمره على حق، ولكنه مؤمن بأن، ولكنّه مؤمنٌ بأنَّ المال ليس كل شيء بالحياة

شيءٍ في الحياة ولا يخلق السعادة ولكن الناس لا تفهم، فالمال ما هو إلا أداه أداة فقط للحصل على الأشياء..

هز رأسه ونظر إلى رجال البحث الجنائي وهم يرفعون البصمات ويجمعون الأدله بإهتمام بإهتمامٍ من كل مكان مكانٍ مكانٍ، لفت نظره أحد الرجال وهو يرفع بملقاط شعره طويلة جدا طويلةً جدًّا طويلةً جدًّا من فوق جسد الصبي، هز، هزّ رأسه وهو يتابع بحيرة فهل القاتل إمرأة...

***

استيقظت الجدّة العجوز وهى تشعر بالإختناق الشديد وتريد كوب من الماء فلقد كان ريقها جاف بشدة بشدّة وتشعر بالظمأ، ولكن لم تكن ميّادة بالمنزل لتجلب لها الماء، نادت بصوت عالى عالٍ على زوجة إبنها ولكن لا احد بالمنزل يبدوا إنهم، يبدو أنّهم ذهبوا إلى منازلهم بعد أن نامت، قامت بصعوبة وهى تتسند وهي تتسنّد على الجدران لتجلب كوب ماء من المطبخ.

مرّت بجوار غرفة حفيدتها ميّادة، وكان النور مضاءً، ترى الضوء من أسفل فتحة الباب الضيّقة، ورأت خيالًا يمرُّ جوار الباب من الأسفل و كأنّ هناك أحدًا بالغرفة، فتحت الباب وهي تردّد بعتاب:

- عدت ولم تمرى لتطمئني علي....تمرّي لتطمئنّي عليّ، لم تكمل جملتها فلقد فتحت الباب فوجدت المصباح مغلق، والغرفة تغط في الظلام وليس هناك احد، فزعت الجدّة ورددت :

- اعوذوا بالله من الشيطان الرجيم، لقد رأيت أحد بالغرفة منذ قليل، ضغطت على زر الكهرباء وهى تلتفت بعيونها بالحجرة الحجرة كالمجنونة لتتأكد ولكن لم يكن أحد بالغرفة سوى فراش خالي وثياب مبعثرة خالٍ وثيابٍ مبعثرةٍ خالٍ وثيابٍ مبعثرةٍ على الأرض ، دققت، دقّقت النظر طويلا لفراش حفيدتها، كان الفراش مثنى ومضغوط ومضغوطًا لأسفل وكأن هناك من ينام عليه بتلك اللحظة التي تقف هي فيها، اقتربت من الفراش وهى تردد تردّد تردّد ما تحفظة من أيات الذكر، فالفراش والمرتبة وكأن هناك من ينام فوقها، وضعت يديها على الفراش وشعرت بأن هناك جسد ساخن عاى ساخنًا على ساخنًا على الفراش، وفي تلك اللحظة سمعت أصوات عاليه عالية كصفير الريح، كان الصون والهمس عاليا لدرجة لدرجةٍ مرعبة، والبرودة الشديدة وكأن هناك ثلج يتساقط من السماء، كانت تشعر وكأنها في ثلاجه في ثلّاجة شعرت بالشلل .. لمحت ذلك الشيء يركض مسرعا بطرف عينينها سريعا..

فوقفت مكانها لا تقوى على الحركة، وهى ترى الفراش يهتز بقوة بقوّةٍ أمامها،ويعلوا ويهبط مصدرا صرير عالي مصدرًا صريرًا عاليًا، لم يعد قلبها الضعيف يتحمل كل كلًّ ذلك الضغط فسقطت العجوز فاقدة الوعي بعد أن صرخت بإختناق أن باسم حفيدتها مياااااااااااااادة.

***

استيقظت العجوز لتجد نفسها في فراشها وزوجة حفيدها نهلة تمسك بيديها وهي تبتسم بارتياحٍ شديدٍ مردّدةً:

- الحمد لله إنك بخير، إنّك بخيرٍ يا جدتي ..

نظرت العجوز بعيون زائغة زائغةٍ وهي تشير لكوب الماء وتلعق شفتيها، مدت نهلة لها يدها بكوب الماء تفضلي.، ، قالت العجوز بقلق بعد أن أخذت تشرب بظمأ وكأنها كانت تسير في الصحراء وقت الظهيرة:

- ميّادة أين حفيدتي؟

- بالشغل يا جدّتي لا تقلقي عليها، ردّدت العجوز بتوتّر:

- ميّادة، أريد حفيدتي الآن..

- اهدأي يا جدّتي بالله عليك، صاحت العجوز بغضبٍ وهي تتذكّر ما شعرت به في غرفة حفيدتها:

- أريد حفيدتي الآن.

- هزّت نهلة رأسها وهي تضغط على الهاتف الجوّال وتتّصل بأخت زوجها مردّدةً بتوترٍ:

- ميّادة جدّتك تريد رؤيتك الآن، أرجوك تعالي سريعا. ردّدت من الطرف الآخر بتوتر:

- جدّتي؟ هل حدث لها شيءٌ يا نهلة؟

- لا...لم تكمل حديثها فلقد مدّت العجوز يديها إليه لتحاول خطفه بقوةٍ من بين يديها، فتركته لها وقالت العجوز:

- هل أنت بخيرٍ يا ميّادة؟

- الحمد لله بخير، ماذا حدث لك يا جدّتي، نصف ساعةٍ وأكون عندك..

- هل أنت بخيرٍ يا ميّادة..

- أقسم بالله أنا بخير، ماذا حدث يا جدّتي عندك أخبريني بالله عليك.

- خفضت العجوز صوتها وشكرت ربّها وهي تردّد:

- الحمد لله...وبعدها خفضت الهاتف من يديها..أخذته منها نهلة وأكملت حديثها مردّدةً:

- لا تقلقي يا ميّادة فجدّتك بخير.

- ماذا حدث يا نهلة..

- لا شيء، لقد وجدتها فاقدة الوعي في غرفتك ونقلتها إلى غرفتها وهي بخير ولكنّها استيقظت وتريد رؤيتك الآن، أرجوك لا تتأخرى..

- أغلقت الهاتف وهي تردّد أنا بالطريق ، كانت تشعر بالتوتّر والقلق على جدّتها فهي ما تبقى لها من رائحة أمّها، وكانت تحبّها بشدّة، هي تعلم أنّ لكلِّ أجلٍ كتاب ونهاية بالحياة، فلكلِّ كائنٍ حيٍّ نهاية ولكنّها لا تريد أن تفقد جدّتها أبدًا أو ترحل عنها لا تتخيل حياتها من دونها، فكيف ستعيش لا تدري ولا تريد أن تفكّر في تلك الأفكار، نفضت تلك الأفكار السيّئة عن عقلها، وهزّت رأسها وردّدت بقلبها. يارب ليس لي أحدٌ سواك فلا تخذلني..

***

دخلت ميّادة وألقت حقيبتها فوق أقرب مقعد، ودخلت غرفة جدّتها التي كانت نائمةً في فراشها، ووجهها أصفر وعيونها زائغة وملتفٌّ حول الفراش ابنها وزوجته وزوجة أخيها والعديد من الأطفال حولها يشعرون بالتوتّر والقلق، قالت ميّادة بتوتر:

-ماذا حدث يا جدّتي؟ هل أنت بخير؟

تنهّدت الجدّة بارتياح مردّدةً:

- حمدًا لله على سلامتك يا صغيرتي، هل أنت بخير؟

- الحمد لله ماذا حدث لك..

- لا شيء ولكنّني شعرت بالقلق عليك، تنهّدت ميّادة وهي تنظر بتعجّبٍ لوجه جدّتها مردّدةً:

- هل كلّ هذا لأنّك قلقت عليّ يا جدتي.

- ردّدت الجدّة بصوتٍ منخفضٍ، نعم هذا كلّ شيء، وهيّا اخرجوا جميعًا أريد النوم والراحة بعد أن تأكّدت أنّك بخير..

نظر الجميع بعضهم لبعضٍ وشعروا بالاستياء والقلق، فالعجوز ليست بخيرٍ أبدًا، خرج الجميع إلّا هي جلست جوار جدّتها على الفراش وقبّلت رأسها مردّدةً:

- أخبريني ماذا حدث؟ لقد خرج الجميع هيا..

- قالت الجدّة وهي تبتلع ما في حلقها:

- لقد رأيت شيئًا يتحرّك بداخل غرفتك يا ابنتى وشعرت بالخوف والقلق عليك انتبهي لنفسك..

نظرت لها بدهشةٍ غير مصدقةٍ ما تسمع:

- هل هذا كلُّ شيء؟ ربّما كان أحد أحفادك يلعب بالغرفة مستغلًا غيابي، فأنا أمنعهم من الدخول إليها في وجودي كما تعرفين، أخبريني الحقيقية ماذا حدث؟ جدّتي هل ضايقك أحدٌ في غيابي؟

- هذا كلّ شيءٍ يا ميّادة وهيّا اخرجي لأستريح فأشعر بالصداع وأريد النوم والراحة، وانتبهي لنفسك واحذري التابعة، احذري التابعة. نظرت لها بحيرةٍ وتعجّب فماذا تقول جدّتها؟ التابعة!

فهل تخرّف؟ لم تردّ، بل هزّت رأسها وخرجت وهي تزفر بغضب ..

كان الجميع بالخارج يجلسون في الصالة ويتحدّثون، لا يفهمون ما الذي حدث للجدّة ولمَ فعلت ذلك، قالت نهلة:

- ميّادة هل أعدُّ لك الطعام؟

- لا أريد، أخبريني ماذا حدث؟

- كما أخبرتك بالهاتف، نزلت لأعدَّ الطعام فوجدتُ جدّتى ملقاةً على الأرض أمام باب غرفتك، فصرخت برعبٍ وتجمّع الجميع، وعندما استيقظَت لم تقل شيئًا إلّا اسمك.. ميّادة ميّادة، كانت تريد رؤيتك ، وكانت ليست طبيعيّة ووجها شاحب..نظرت لهم بتوتّر ولم تردّ بل تذكّرت ما حدث لها

اليوم في المحل، وكلمة جدّتها انتبهي من التابعة..

فدخلت غرفتها وهي تشعر بوغزةٍ في قلبها وبرودةٍ في أطرافها، فهي لا تفهم ما الذي يحدث معها تلك الفترة، ولمَ تشعر بتلك الأشياء السيئة وبأنّ شيئًا جللًا سيحدث، ومن التابعة هذه؟

أغلقت باب غرفتها ونزعت ثيابها وألقت بجسدها المتهالك فوق الفراش وقرّرت أن تستريح

وتنام فهى لا تريد سماع صوت أحد فياليتهم يأخذون أطفالهم ويذهبون إلى منازلهم فهي تشعر بالصداع الشديد..

وضعت رأسها فوق الوسادة وأغمضت عينيها، وهنا سمعت الصرخة المريعة من الخارج، لم تميّز صوت من ولكنّها صرخةٌ أنثويّةٌ عالية، يبدو عليها الفزع، وبعدها توالت الصرخات العالية التي تبِعها اسم جدّتي لا تموتي...

- جدّتي لاااا تتركيني وحدي.

***

(٥)

بعد أن مرّت أيام العزاء وذهب الجميع إلى منازلهم، رفضت هي أن تترك شقّةَ جدّتها وتعيش مع زوجة أخيها وأطفاله، فهي تحبُّ زوجة أخيها وأبنائه ولكنّها تفضِّل الخصوصيّة أيضًا ولا تحبُّ إزعاج الأطفال وصراخهم المستمرِّ، تعشق الهدوء وعدم الإزعاج ولا تستطيع النوم بعيدا عن فراشها، فكانت زوجة أخيها تنزل لتقضي معها طوال اليوم وتعدّ الطعام وتذهب في المساء لشقتها، واليوم هو اليوم الثالث لموت الجدّة وبدأ المعزون يقلّون بالمنزل بعد أن أدّوا واجب العزاء.

جلست هي حزينةً على المقعد ترتدي ثوبًا أسود وتغطي شعرها بغطاء رأسٍ أسود، اقتربت منها نهلة هامسةً:

- هل أعدُّ لك العشاء؟ فلم تضعي في فمك أيّ طعام منذ الصباح.

- لا سأدخل لأنام، أشعر بالإرهاق فغدًا سأذهب لفتح المحل.

- لمَ لا تستريحين غدًا الخميس والجمعة وتفتحي أوّل الأسبوع يا ميّادة؟

- لا يا نهلة، الشغل سوف يضيع الوقت ولن أشعر بالوحدة، وأظلُّ أتذكر جدّتي رحمها الله وبعدها أجهشت بالبكاء

الشديد، احتضنتها زوجة أخيها بحنانٍ وتساقطت دموعها وهي تردّد:

- رحمها الله وغفر لها، هذه هي نهايتنا جميعًا فمن منّا سيخلّد في الأرض ويعيش للأبد، ادعِ لها بالرحمة وتذكّريها بالخير وابتسمى فلقد كانت تحبُّ الضحك والمزاح طوال حياتها وتكره النكد واللون الأسود.

لم تستطع ميّادة الردّ، ولكنّها نهضت ودخلت غرفتها ومازالت دموعها تتساقط، فلقد كانت جدّتها هي كلُّ شيءٍ لها في الحياة، عاشت معها سنواتٍ عديدة أكثر ممّا عاشته مع والديها رحمهما الله، ألقت بجسدها على الفراش بتعب ولم تكن لديها المقدرة على نزع ثيابها السوداء وارتداء ثوب نوم.

***

كان الشيء الأسود يقف في نهاية ذلك الممرِّ الطويل تمتدُّ يداه الطويلتان على الأرض، لتمسك بشيءٍ أسود آخر، أو بمعنى أدّق تمسك بيد الشيء الآخر الذي كان يضعها بجواره، كان المنظر مرعبًا وغريبًا، فنفس الشيء وشبيهه كانا يمسكان ببعضهما البعض.

فأحدهم امتدّت ذراعه طويلة والآخر وقف ساكنًا وكأنّه لا يريد فعل شيء، كانت هي تقف وترى كلَّ هذا من بعيد،

قلبها يرتجف وعيونها شاخصة، تسمع دقات قلبها المتسارعه عالية، رفعت عيناها عاليًا لتواجه الشيء الذي كانت عيونه حمراء دمويّة ينظر إليها بغضبٍ شديد، وكان صفير الريح عاليًا يزأر بغيظٍ في أذنيها، مردّدًا:

- لقد قتلتيهااااا..الموت للقاتلة..أخذ الصوت يردّد قاتلة قاتلة...

وضعت يديها فوق أذنيها وردّدت أنا لم أقتل أحدًا، لست بقاتلة ماذا تريدون مني؟

وهنا ترك الشيء يد الشيء الآخر وأخذت يداه تنسحب بهدوء للخلف عائدةً بسرعةٍ، شعرت هي بالرعب من ذلك الشيء الأسود وحاولت الفرار والركض في الاتجاه الآخر، ولكنّها وجدت تلك الأشياء السوداء الصغيرة كالعناكب السوداء الكبيرة.. كانت تركض إليها مسرعةً وتتجمّع فوق بعضها البعض لتبني جبلًا مخيفًا يركض تجاهها، لم تكن تعرف أين ستذهب من كلِّ هذا ومن تلك المخلوقات الغريبة التي تطاردها، ولماذا تطاردها فماذا فعلت هي ليحدث لها ذلك؟

صرخت برعبٍ عندما لمست اليد السوداء قدميها العاريتين وشعرت بتلك الوغزه تؤلمها، فتحت عينيها وهي تصرخ بألمٍ فوجدت نفسها في غرفةِ نومها والظلام يحيط بها من كلِّ

جانب، فيبدو أنَّ زوجه أخيها أغلقت مصباح الغرفة عندما نامت هي.

نهضت من فراشها ومازالت أنفاسها متسارعةً وكانت قدمها تؤلمها بشدّة، ضغطت على نفسها وتماسكت حتى وصلت إلى زرِّ الكهرباء ضغطت عليه، ولكنّه لم يعمل، فتحت باب الغرفة وكانت الصالة غارقةً في الظلام فيبدو أنَّ الكهرباء مفصولةٌ عن الشقّة، بحثت عن هاتفها الجوّال، حتى وجدته جوار الفراش، أضاءت كشّاف الهاتف وكانت تشعر بالظمأ الشديد والألم.

ذهبت لتحضر كوب ماءٍ من المطبخ، وهنا لاحظت شيئًا يجري بسرعةٍ في الظلام أمامها، صرخت بفزعٍ واستعاذت بالله من الشيطان الرجيم، كاد قلبها يتوقف من شدّة الرعب والفزع ووقفت مكانها لا تستطيع التحرّك من مكانها من شدّةِ خوفها.

شعرت بتلك الريشة التي مرّرها أحدهم على قدميها سريعًا وارتعدت أوصالها راجفةً، مع صفير الريح العالي في أذنيها وتلك الهسهسة الخافتةِ التي كانت تخترق أذنيها، برودةٌ شديدةٌ وانخفاضٌ بالجوِّ بالغرفة مرَّةً واحدة، شعرت بالبرد الشديد ممتزجًا بالخوف من المجهول فهناك من يقف أمامها في تلك اللحظة يراقبها وهي لا تراه من بين الظلام الدامس

ولكنّها تشعر بوجوده يحيط بها، هي تعرف ازداد ألم قدميها لدرجةٍ غريبة، ماذا تفعل فالصرخات مكتومة في الحلق الجاف، حبيسة الصدر لا تستطع الخروج.

كانت الكلمات تتردّد في أذنيها «تيك تاك توك..

لقد قتلتيها قتلتيها يا قاتلة..تيك تاك توك ستموتين ستموتين قريبا...تيك تاك توك فمثلك يستحقون الموت الموووووووووت..»

وجّهت ضوء الهاتف إلى قدميها لرؤية تلك الوغزة، وهنا كانت قدماها تنزفان بغزارةٍ والدماء تسيل وكأنّه صنبور، تعجّبت بفزع، فوجّهت الكشّاف والضوء إلى الأرض، فكانت الدماء تغرق الأرض وكأنّها بحرٌ يجري، هتفت بجزع ما هذا؟

أكلُّ تلك الدماء دمائي، كيف؟ كيف ؟كيف ؟

هل أموت، يا رب...ازداد صفير الريح عاليًا وهمساتٌ مكتومة، فخرج صوتها مرتجفًا:

- مَنْ هناك؟ ضحكاتٌ عاليةٌ أخذت تتعالى وترتفع بالمكان لتؤكّد لها بأنّ أحدهم موجودٌ معها في تلك اللحظة بالغرفة، وهنا لم تعد تتحمّل، صرخت بصوتٍ عالٍ وتهاوت على الأرض ساقطة..

***

في منزل نهلة كانت تستعدُّ للنوم عندما انقطعت الكهرباء، ذهبت ونزعت سلك الكهرباء للثلّاجة من الكابس، وأغلقت كلَّ الأنوار ورفعت الأسلاك، خوفًا من أن يعود التيار مرّةً واحدة بجهدٍ أعلى فيحرق الأجهزة والمصابيح، أو يحدث ماسًا كهربائيًّا لا قدّر الله، فلقد انتشرت حوادث الكهرباء والحرائق الفترة الماضية في المنطقة من حولها، بطريقةٍ غريبةٍ جدًّا ومحيّرة فالنيران تشتعل في المنازل والمتاجر والفنادق بطريقةٍ غريبة، ولا أحد يعرف سببًا لما يحدث سوى أنّه ماسٌ كهربائيّ.

سمعت صوت ابنها الصغير ينادي عليها بخوف:

- ماما أنا خائف، دخلت هي الغرفة وهي تحمل الكشّاف مردّدةً:

- لا تخف يا حبيبي سيعود النور بعد قليل.

- أريد الماء.

ذهبت وأحضرت له كوب ماء، وبعد أن شرب قال:

- ماما ابقي معي أنا خائفٌ من الظلام..

- لا تخف أنا معك لا تقلق، هيّا اقرأ ما تحفظة من القرآن

الكريم..

قرأ الصبي سورة الفاتحة والإخلاص بصوتٍ عالٍ، ثمَّ التفت إلى أمّه قائلًا:

- ماما، هل عمّتي ميّادة ستموت قريبا كجدّتي؟

- فزعت الأمُّ من السؤال الغريب للطفل فردّت بتوتّرٍ:

- «بعد الشر، لماذا تقول ذلك ربي يحفظ عمّتك ويبارك في شبابها»

- ردّد الصبي بعناد:

- ولكنّها ستموت يا أمي ستموت أنا أعرف..

- زفرت بغضبٍ وقالت بغيظ:

- اصمت ولا تتكلّم وهيا نَمْ يا بنيّ.

- لا، أنا خائفٌ من الظلام ابقي معي يا أمّي..

- هزّت رأسها ولم تردّ، بل جلست على طرف الفراش وغطّت ابنها وقبّلت جبينه وهي تفكر في كلام الصبيّ، وهنا نظر إليها الصبيُّ مرّةً واحدةً مردّدًا:

- لماذا عمتي يا أمّي فهي طيّبة..ولا تستحق الموت.

- شعرت نهلة بالخوف على أخت زوجها فقالت بعصبيّة:

- لماذا تقول ذلك يا مازن أخبرني؟

نظر الصبيُّ لأمّه برعبٍ وأغمض عينيه ونام، هزّت جسده الصغير وهي تردّد بغضب:

- هيّا تكلّم..

- قال بصوتٍ ضعيفٍ وخائف : لا أستطيع.

- تكلّم لماذا تقول ذلك يا مروان؟

- سوف تغضب منّي وتؤذيني إن أخبرتك.

- تؤذيك؟ من هي تكلّم؟

نظر لها بعيونٍ مذعورة وشدَّ الغطاء على وجهه وقال بصوتٍ خافتٍ ودقاتُ قلبه تتسارع لاهثةً:

- إنّها خلفك، وبعدها أخذ يرتجف أسفل الغطاء نظرت له بتوترٍ، وشعرت بالخوف والرعب وتزايدت دقات قلبها بسرعة، فماذا يقصد ابنها يا ترى، وهل هناك حقًا شيءٌ يقف خلفها في الظلام في تلك اللحظة؟ شعرت بالبرودة تسري في أوصالها وصفير الرياح في أذنيها، وصوت ابنها يهمس كالفحيح:

- لا تنظري إليها فهي لا تحبُّ ذلك..

- لم تستطع أن تسأل ولم تقدر على الالتفات ولكنّها شعرت بأنفاسِ أحدهم الحارّة خلفها، فقرّرت أن تلتفت ووجّهت كشّاف الهاتف المحمول للخلف مرّةً واحدة وهي تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم وفي تلك اللحظة سمعت صرخات ميّادة العالية، وعادت الكهرباء في نفس اللحظة، فأخذت تركض للخارج لتعرف ما الذي حدث..

وهنا شعر الصبي بمن يسحب الغطاء من فوق جسده ببطءٍ، فقال وهو يرتجف من بين دموعه:

- اتركيني لم أخبرها بشيء...

***

تجمّع خال ميّادة وزوجته وزوجة أخيها وبعض الأطفال في شقّة الجدّة بعد سماع صرختها العالية، وكانت الكهرباء قد عادت ومع كلٍّ منهم مفتاحٌ للشقّة، دخلوا جميعًا وكانت ميّادة ملقاةً على الأرض في الصالة، فاقدة الوعيّ، حملها الخال إلى الفراش وحاولوا إفاقتها بشتّى الطرق، ففتحت عيونها المذعورة وهي تردّد ماذا حدث، وجدتهم جميعًا ملتفّين حول الفراش والقلق بادٍ على وجوههم، حتى زوجة خالها كان يبدو عليها الخوف والقلق، رغم أنّها لا تحبها ولكن صرختها العالية المريعة أفزعتهم جميعًا، قال خالها بقلق:

- ماذا حدث يا ميّادة؟

نظرت له بعيونٍ زائغةٍ وردّدت بصوتٍ ضعيفٍ:

-لقد رأيت جدتي تركض قي الصالة..

استعاذوا بالله من الشيطان الرجيم، وقالت نهلة:

- لقد كنت تتوهمين، أخبرتك أن تأتي وتنامي معنا يا ميّادة ولكن رفضت..

صرخ الخال بخشونة:

- لن تباتي في الشقّة بمفردك مرّةً أخرى، تعالي باتي عندنا أو عند زوجة أخيك، نظرت له زوجته نظرةً ناريّةً فهي لن تقبل بأحدٍ ليضايقها بمنزلها، أبعد الزوج وجهه عن زوجته وهو يزفر ولاحظ الجميع توتُّرَه، فقالت ميّادة بعناد:

- لن أترك شقّة جدّتي وأضايق أحدًا، أنا بخير، تنهّدت زوجة الخال، وخرج و هو غاضبٌ من الحجرة وهو يردّد:

- افعلي ما تشائين ولكن إيّاكِ أن أسمع صوتك مرّةً أخرى..

وخرجت خلفه زوجته وهى تردّد:

- اجعلي القرآن يعمل بالشقّة دومًا ولا تفصليه، فجدّتي كانت تقول دومًا الأرواح لا تغادر منزلها إلّا بعد الأربعين

يوما، وتظلُّ مع من تحبهم...

- قاطعتها نهلة:

- ماذا تقولين يا سماح وهذا الكلام الغريب، فالأرواح تذهب لخالقها..نظرت لها بغيظٍ ولم تردّ بل خرجت خلف زوجها مردّدة: أنت تعرفين!

نظرت ميّادة بتوترٍ وقلقٍ لزوجة خالها وهي تغادر الغرفة وسمعت صوت باب الشقّة وهو يغلق خلفها، ونظرت إلى نهلة مردّدةً:

- هل ما تقوله صحيح عن بقاء الروح في منزلها؟

- هل ستصدقين تلك الخرافات؟ استعيذي بالله من الشيطان الرجيم.

- ولكنّني رأيت جدّتي حقًا تركض في الظلام.

- لقد كنت تتوهمين، فالموتى لا يعودون للحياة..ولقد خفت من الظلام، هذا كلُّ شيء.

- ربّما، ولكن أشعر بألمٍ في قدمي شديد، ورفعت قدمها لترى ماذا بها، وكانت قدمها مصابةً وبها جرحٌ صغير وكأنّ شيئًا حادًّا غرس بها، فنظرت زوجة أخيها قائلةً:

- يبدو أنّك دست على مسمارٍ أو دبوس مكتبٍ على الأرض.

- لا لا لقد استيقظت على الألم، لقد دست على شيءٍ ولكن بالحلم، وأخذت ترتجف.

- اهدأي فلقد كنت تتوهمين، وموت جدّتك وبقاؤك في الشقّة بمفردك وانفصال الكهرباء، كلُّ هذا سبّب لك التوتر.

- لا يا نهلة، فهناك شيءٌ يطاردني منذ سنواتٍ ويتبعني ولا أعرف ما هو، ولقد استغلّ موت جدتي وبقائي وحيدةً ويريد النيل مني، وأجهشت بالبكاء الشديد.

- شيءٌ يتبعك؟ ما هذا التخريف؟

- هذا ما أشعر به منذ سنوات وكانت جدّتي تعرف كلّ شيءٍ وتحاول حمايتي من ذلك الشيء.

- كلّ تلك أوهامٌ يا ميّادة لا تجعليها تسيطر على عقلك بالله عليك.

- ليست أوهامًا، فما أراه في الأحلام ليست أوهامًأ أبدا.

- ردّدت نهلة بصوتٍ خافت متوتّر:

- هل تقصدين التابعة؟

وهنا نظرت ميّادة برعبٍ واتّسعت عيناها بشدّة وتذكرّت جملةً جدّتها الأخيرة:

«احذرى التابعة» وأخذت الجملة تعلو في رأسها وتتردّد وهي لا تفهم ما معنى الكلمة، ومن هي «التابعة»

وهنا قطع حبل أفكارها صراخ صبيٍّ صغيرٍ يشقُّ صمت الليل الساكن، وهنا صرخت نهلة بخوفٍ شديدٍ مردّدةً اسم ابنها:

مرواااااااااااان

***

(٦)

جريمة قتل أخرى يا بهاء باشا ولم يمرَّ شهرٌ على آخر جريمة، هزّ رئيس المباحث رأسه ساخرًا، وهو يردّد:

- قل لم يمضِ أسبوعٌ على آخر جريمة وليس شهر يا يسري.

- الغريب بأنّه نفس القاتل فلم يغيّر من طريقته وأسلوبه مع الضحايا، يبدو الأمر غريبًا فماذا يريد سفاح الأطفال يا ترى؟ هل بدافع الانتقام؟

- لا اعتقد بأنّه انتقام فليس هناك أيَّ صلةٍ تربط بين الضحايا، إلّا آخر طفلٍ فكان جار أحدهم ويسكن بنفس الشارع ولكن أعتقد بأنّها الصدفة فقط.

- ولمَ لا يكون هناك رابطٌ بينهما؟

- الطفل الأوّل يدعى صدّام وهو ابن حارس أحد العقارات بالشارع، أتى من الصعيد ليعمل بالمدينة العامرة تاركًا خلفه الريف وما فيه، وكان الصبيُّ يعمل في ورشةٍ لتصليح السيارات، خرج ليحضر بعض الشطائر لصاحب العمل واختفى ولم يعد للورشة ولا للمنزل. بحثوا عنه كثيرًا ولكن لم يجدوا له أثرًا بالمنطقة، حتى عثر الأهالي على جثّته بجوار شريط المترو. وصبيٌّ أمس ابن طبيبٍ شهير للقلب

والأوعية الدمويّة، يعيش الطفل مع أمّه بعد انفصال والديه وتركته الأمُّ مع جدّته فنزل يشترى بعض الحلوى من المتجر أسفل عقار الجدّة وكانت الأمُّ مع صديقاتها بالخارج، فلم يعد الصبيّ، إهمال الجدة ونفس السيناريو، حتى وجدوه مذبوحًا كالباقين.

- ألم تلاحظ شيئًا في قصص الأطفال يا بهاء باشا؟ فلقد أجريت حوارات مع كلِّ أهالي الضحايا وجيرانهم ولاحظت شيئًا هامًا.

هزّ بهاء رأسه وهو ينظر باهتمامٍ لصديق عمره ويريد أن يفهم..فهو يعرف بأنّ يسري صحفيٌّ ماهرٌ يحبُّ عمله ويحبُّ معرفة وإظهار الحقائق كاملةً، منذ كانوا صغارًا ويلعبون وهم صغار في الشارع، كان يسري دومًا يختار دور شارلوك هولمز في البحث عن الحقيقة، ابتسم ونظر له باهتمام ليكمل.

قال يسري باهتمام :

- بعد سؤال كلّ أهل وجيران الضحايا اكتشفت العامل المشترك في القضيّة، وهو الإهمال من الأهل لهؤلاء الأطفال البائسين الذين ليس لهم دخلٌ فيما هم فيه ولا في حياتهم التي فرضت عليهم، فمعظم الضحايا أطفالٌ من أُسَرٍ مفكّكة ومشاكل أسريّة وهم ناتج تلك المشاكل.

فالست أطفال لوالدين منفصلين، إمّا أنّ الأطفال عند الأب لزواج الأمّ أو عند الأمِّ أو الجدّة عندًا

في الأب الذي تزوّج وتركهم أو الأمّ التي تخلّت عن دورها كأمٍّ وفضّلت حياتها ورغباتها على أطفالها، وهناك الطفل معاذ فلقد طرده زوج أمه من شقّته في منتصف الليل بعد أن ضربه وأهانه وهو يتيم الأب وكان الطفل ذاهبًا لجدته بعد منتصف الليل بعد أن عذّبه زوج الأمِّ وقام بضربه أمام عيون أمّه والجيران.

وطرده من شقّته وإلّا طلق الزوجة. فمن وجهة نظري هؤلاء المساكين ارتاحوا من ظلم الدنيا لهم، فلا أعتقد بأنّهم كانوا سيخرجون للدنيا بكلِّ تلك المشاكل النفسيّة والعقد والتراكمات السوداء ويصبحوا مواطنين أسوياء وليس هناك من يدافع عن حقوقهم ويحميهم بالمجتمع يا صديقي.

- انفعل الشرطي مردّدا:

- هل تبرّر قتلهم يا يسري؟ ماذا تقول يا رجل، اليوم أكثر من ١٠٪ من الأسر منفصلة وحالات طلاقٍ بنسبٍ كبيرة ومشاكل أسريّة تمتلىء بها محاكم الأسرة فهل كلّ هؤلاء الأطفال يستحقّون الموت؟

- لا أقصد ذلك أبدًا ولا أبرّر شيئًا ولكن أعتقد بأنّ الظلم

والقهر والعنف الذي تعرّض له هؤلاء الأطفال هو الرابط، فجميعهم أعتقد بأنّ ذويهم تمنوا ألّا يولدوا أو يأتوا للحياة ويتواجدوا فيها من البداية، لأنّهم نقطٌ سوداء في حياة أحد الوالدين أو كليهما..

ويعتبرونهم غلطةً سوداء في سجلّاتهم يا بهاء باشا، وأنا لا أقصد كلّ الحالات في المجتمع، فهناك الكثيرون

ظلموا ومع ذلك يعافرون من أجل توفير حياةٍ كريمةٍ من أجل أطفالهم، ولا يهتمون بأنفسهم من نساءٍ رفضن الزواج بعد الطلاق أو بعد موت أزواجهنّ من أجل تربية أطفالهن، ورجال نفس الشيء لم يتخلّوا عن دورهم في تربية أطفالهم، ولم يشعروهم يومًا بالذنب على كونهم أبنائهم بل العكس صحيحٌ تماما، المغزى هنا وفيما أريد قوله هو أنّ القاتل يعرف ماذا يفعل ويعرف جيِّدا كيف يختار ضحاياه من بين الملايين ليريحهم من عذابهم وما يعانون لأنّه يعرف جيّدًا نهاية هؤلاء الأطفال عندما يكبرون وكيف سيصبحون بالمستقبل فربّما أراد حماية المجتمع من وجودهم من يدري كيف يفكر بعقله المريض؟

- لا أعتقد ذلك، فلن يصل تفكير مجرمٍ لذلك بأن يفكّر بالوطن والوطنية والمجتمع، فالمجرمون مرضى نفسيون ليس لديهم خطّةٌ ومبدأ كما تقول يا يسري ولكنّ عقولهم

تمتلىء بالهواجس والمرض النفسيّ الذي يجعلهم مشوّشين لا يرون الحقيقة كاملةً ولا الصورة واضحة، ولكن ظنّي بأنّها مجرّد صدفٍ فقط وحظٍّ سيّئٍ للأطفال لتواجدهم في طريق ذلك السفاح ولم يخطّط لأيّ شيء ولكنّ القدر والصدفة جمعتهم فقط.

- وأنا لا أعترض على ما تقول بأنّه مريضٌ نفسيٌّ ولكنّ حدسي يخبرني بأنّه يعرف كيف يختار ضحاياه، فربّما كان يشعر بمعاناتهم أو يرى الذلّ والقهر في عيونهم، من يدري... وصمت قليلًا وهو يكمل بشرودٍ وربّما عانى هو ما يعانيه هؤلاء الأطفال ويريد أن يريحهم من العذاب، من يدري أين الحقيقة؟

- ربّما حقًّا عانى وهو صغير ولكن لماذا يستخرج أعضاءهم فهل هو طبيب ويستخدمها في تجارة الأعضاء البشريّة.

ردّد بشرود:

- طبيب وتجارة أعضاء ولم لا، ولكن لماذا الأطفال في نفس العمر ونفس الحالة الاجتماعيّة، شيءٌ محيِّر.

- لا أدري ولم نتوصل لأيِّ شيءٍ حتى الآن فلقد اختار القاتل منطقةً لا يوجد بها كاميرات مراقبة إلّا القليل. فهل تعتقد بأنّه من سكان عين شمس؟

- واثقٌ بأنّه من نفس المنطقة «عين شمس» ويتبع ضحاياه ويعرف عنهم كلَّ شيءٍ بطريقةٍ ما، ويعرف أين يضع الجثث ويتخلّص منها بعيدا عن كاميرات المراقبة القليلة المتواجدة بالمنطقة، لقد نصحنا المحلات بضرورة تركيب كاميراتٍ للمراقبة حمايةً لهم، وهناك من استجابوا للأمر مع رخص سعر الكاميرات تلك الأيّام، فهي أقلُّ من ثمن الهاتف.

وهنا دقَّ قلبه بشدّة، وشعر بالتوتّر الشديد لا يعرف لماذا. خطيبته ميّادة جالت بخاطره بتلك اللحظة بالذات، لقد أخبرته بأنّها سوف تنزل العمل اليوم وتفتح المحل، شعر بغصّةٍ في حلقه وهنا قام بتوتّرٍ وهو يقول بطريقةٍ غريبة:

- سأرحل، ولو هناك أيّ جديدٍ أرجو أن تخبرني فلا تنسى نحن أصدقاء قبل أيِّ شيءٍ وقبل حتى أن تكون رئيس مباحث يا بهاء، ابتسم بتوتّر مردّدًا:

- ماذا حدث يبدو بأنّك تذكّرت شيئًا هامًّا، فهل كلُّ شيءٍ بخيرٍ وعلى ما يرام؟

- نعم، كلُّ شيءٍ بخير ولكنّني لم أسال عن ميّادة اليوم وأشعر بالقلق عليها فمنذ موت جدّتها وهي ليست على ما يرام، تغيّر وجه بهاء ونظر بضيقٍ إلى ساعته ولم يرد.

استأذن يسري وخرج من الغرفة وهو يحاول أن يتصل

بخطيبته، ولم يلاحظ ضيق بهاء وتوتّره عند سماعه لاسم خطيبته، فلقد كان يعشق الفتاة منذ كانت طفلةً صغيرة وهم جيران ويراها وهي ذاهبةٌ للمدرسة مع أمّها، وكان يضرب كلَّ من يضايقها أو يؤذيها ويضايقها في الشارع، كان يحبّها وكانت هي تحبّه وهي صغيرة لا يدري لماذا تغيرت مشاعرها نحوه عندما كبرت، لماذا رفضته وفضّلت يسري صديقه وجاره عليه، رغم حبّه لها، لماذا؟ دومًا كان يسأل نفسه لماذا لم تحبّه كما أحبّها ولمَ فضّلت يسري عليه رغم عشقه لها؟ بحث كثيرًا عن السبب ولكنّه لم يجد الجواب غير أنّ للحبِّ أحكامه وقوانينه العديدة التي لن يفهما أحد..فلماذا نحبُّ أشخاصًا دون غيرهم وتتعلق قلوبنا بحبّهم بالرّغم من أنّهم لا يشعرون بنا، ولكن ماذا نفعل فالقلب متعلقٌ بهواهم، فهل هو الرفض؟

الرفض الذي يجعلك متمسكًا بالشيء الذي يرفضك ومصرًا عليه رغم كلِّ شيء، هل هو حبُّ جلد الذات وتعذيبها «المازوخية»، فهناك من يعشقون العذاب ويجدون اللذّة في عذابهم ومعاناتهم، يحبّون دومًا أن يعيشوا دور الضحايا ويتألّمون، والغريب بأنّ الكثيرين بعد معاناة الحبِّ والألم لسنواتٍ قبل الزواج ومواجهة العديد من المتاعب والمشاكل مع الأهل واعتراضهم بعد الزواج وانتصار رغباتهم في النهاية، تحدث المشاكل العديدة، والخيانات الزوجيّة وتفشل

العلاقات وتكون نهايتها مأساويّة، إلّا القليل منهم فدومًا مرآة الحبُّ خادعةٌ وكاذبة، ولكنّها النفس البشريّة بكلِّ عقدها وما تحتويه من ألغاز كثيرة.

زفر بهاء بتعبٍ وأخرج سيجارةً وأشعلها وهو يتذكّر عيون ميّادة الخضراء التي دومًا تؤثره ويعشق النظر إليها، وهو يخبرها بحبّه وتعتذر هي مردّدةً بأنّها تعتبره أخًا لها ولا تستطيع أن تراه سوى أخٍ وليس شيئًا آخر، صُدِمَ وقتها وشعر بالمرارة في حلقه ولكنّه صمت ولم يتحدّث فلماذا لم تقبل حبّه ورفضته؟

لماذا لا يرى الإنسان من يتمنى رضاه ويركض خلف من لا يريده؟

زفر بغيظٍ وهو ينفث دخان سيجارته بالهواء، مردّدًا:

- ولكنّ يسري يعشقها أكثر من نفسه، هزَّ رأسه وأخذ يقلّب في الأوراق أمامه محاولًا نفض تلك الأفكار من عقله، و هنا سمع طرق الباب ودخول أحد المجنّدين مردّدا بعد ترديد التحية العسكرية:

- بلاغٌ جديد عن جريمة قتلٍ يا سيّدى، طفلٌ في العاشرة.

نظر بجدّيةٍ وهو يستمع للجندي ويأخذ هاتفه الجوّال، ومفاتيح سيارته ويتّجه لمكان الجريمة: عين شمس

***

جلست ميّادة خلف مكتبها وهي تشعر بالدوار والتعب، لم تستطع تنظيف شيءٍ رغم الأتربة المتراكمة فوق علب المكياج والعطور، حاولت إزالة الأتربة وتنظيف المكان ولكنّها لم تستطع فعل شيء، فجلست تستمع لآيات الذكر الحكيم بدون أن تتحرّك من مكانها، وتتساقط دموعها، دخل بعض أصحاب المتاجر المجاورة لتعزيتها في وفاة جدّتها، وكانت تحاول التماسك قدر المستطاع ولكنّها كانت مرهقةً جدًّا ومتعبة، فلم تنم ليلة أمس، بعد إصرار نهلة على المبيت معها، وكان ابن أخيها الصغير مروان يخرّف طوال الليل وحرارته مرتفعه، فلم تستقرّ حالته وتنخفض الحرارة سوى مع أذان الفجر، وقتها نام بهدوء. لا تعرف ما الذي حدث للطفل فقد صرخ مرّةً واحدة، وعندما صعدوا له كان فاقدًا للوعي وأخرج ما في جوفه على الأرض وكان هناك شيءٌ لزجٌ أخضر يملأ فراشه، حاولت هي وأمه ايقاظه وعندما فتح عينيه أخذ يبكي ويخرّف بكلامٍ كثيرٍ غير مفهوم بأنّه «لم يخبر أحدًا بأمرها» ولم يقل شيئًا «عمتي ميّادة.....التابعة».

كان يردّد اسمها كثيرًا، سهروا جواره وهم يحاولون إسعافة حتى استفاق وبدأ يتحسّن مع أذان الفجر وترديد: «الله أكبر الله أكبر».

وناموا بعدها ولكنّها لم تستطع النوم، وأخذت تفكّر فيما حدث، وكلام الصبيّ ذكّرها بكلام جدّتها قبل موتها وتكرار كلمة «التابعة»، «احذري التابعة»..«احذري التابعة».

ارتدت ثيابها بعد ذلك وقرّرت الذهاب إلى عملها، فلقد كانت تشعر بالاختناق من المنزل، وتريد رؤية شيءٍ جديدٍ وإناسٍ آخرين لا يرتدون اللّون الأسود فلقد كانت تشعر بالكآبة الشديدة.

قطع حبل أفكارها صوتٌ أنثويٌّ حادٌّ يقول:

- البقاء لله يا ميّادة.

رفعت عينيها لتجد التوأمتين «راوية وسميّة» أمامها وترتديان الأسود، وكانتا تنظران لها بطريقةٍ غريبة، ردّت هي بصوتٍ واهنٍ:

- ونعم بالله..كيف حالكما؟

- ردّت راوية وهي تنظر لها بعيونٍ واسعةٍ كادت تخرج من مقلتيها من شدّة بروزها، نحن بخير، المهمّ هو أنت، كيف حالك بعد موت جدّتك؟

- بخيرٍ الحمد لله وشكرًا لسؤالكما، التفتت إلى سميّة وأكملت: كيف حالك يا سميّة تبدين متعبة، نظرت إلى أختها

التوأم قبل أن تجيب مردّدةً بعد أن هزّت توأمتها رأسها بالموافقة:

- بخير.

- ابتسمت ميّادة رغمًا عنها فما زالت سميّة كما هي لم تتغير ولم يقلّ خوفها من أختها التوأم، ولكنّ وجهها أصبح باهتًا جدًّا، تبدو مرهقةً والهالات السوداء تحيط بعينيها فجعلتها تشبه دب الباندا، مع شحوب وجهها الغريب.

فنظرت إلى راوية قائلةً:

- هل هي بخير؟ فلونها شاحبٌ وتبدو متعبةً جدًّا، لم تكمل جملتها فلقد دخل شابٌّ طويلٌ المحلَّ، يمتلك عضلاتٍ بارزة أسفل الثياب، يبدو أنّه يمارس الرياضة ويرفع الأثقال، وقف مبتسمًا وهو يقول لها:

- مرحبًا يا آنسة، لماذا كان المكان مغلقًا الأيام الفائتة؟ لقد جئت أكثر من مرّةٍ أريد شراء هديّةٍ لحماتي فلقد أقترب عيد الأمّ.

- كان عندي حالة وفاة، عيدٌ سعيد.

- ردَّ بتأثّرٍ شديد: البقاء لله، من توفى عندك؟

- جدّتي رحمها الله وغفر لها، قل لي ماذا تريد؟

- عطرٌ قويٌّ، وكريمات لترطيب البشرة، فحماتي تحب الاعتناء بنفسها كثيرًا وبعدها ابتسم، ابتسمت هي

والتفتت إلى راوية التي كانت تجلس على المقعد خلف الشابِّ مباشرةً ورأت حقدًا كبيرًا في عينيها ونظراتٍ غريبةٍ للشابِّ، أشعرتها بالإنقباض الشديد.

والتفتت إلى الشابِّ وهنا وجدت عيونه كلّها تحوّلت للونٍ أبيض واختفى اللّون الأسود تمامًا، وبدأ الزبد يخرج من بين شفتيه والريم الأبيض، كان منظره مرعبًا، أخذ ينظر لها بعيونه البيضاء وبعدها سقط فاقدًا الوعي أمامها، صرخت بفزعٍ لا تدري ماذا حدث للشاب، وأحضرت زجاجة ماءٍ وأفرغتها على وجهه كاملةً وأخذت ترفع قدميه لتصل الدماء إلى مخّه ويستفيق، كانت تشعر بالتوتّر وتسارعت دقات قلبها بشدّة لا تدري ما الذي حدث للرجل، نظرت إلى التوأمتين تستغيث بهما، ولكن أدارت كلٌّ منهما عيونها في اتجاهٍ آخر وكأنّ الأمر لا يعنيها، وهنا فتح عينيه ونظر لها والعرق البارد يتصبّب على جبينه، تنهّدت بارتياح:

- هل أنت بخير؟

- حاول النهوض وهو يردّد: الحمد لله.

- يبدو أنّك لم تتناول فطورك.

- لقد أنهيت التمرين ولم أتناول الطعام بعد، لكن أوّل مرّةٍ يحدث لي ذلك، الحمد لله سأكون بخير.

- لماذا لم تتناول طعام الفطور فهي وجبةٌ مهمّة ويبدو أنّك تمارس تمارين شاقّة.

- سوف أنتبه بعد ذلك، أعتذر لإزعاجك يا آنسة، جهّزي لي ما أريد وسوف أمرُّ عليك بعد المغرب لأخذها،

ترك لها المال ورحل وهو يترنّح، ورفض البقاء بالمكان لأنّه يشعر بالاختناق، أخذت تنظر له كثيرًا وهو يخرج من المحلِّ ولا تدري ما الذي حدث له.

وهنا تذكّرت القرآن الكريم، لقد كانت السمّاعة مغلقة ولا تدري من أغلقها، زفرت بضيقٍ ونظرت إلى أعلى وكان النور مضاءً، وتساءلت لماذا لا تعمل لا تفهم، قطع حبل أفكارها صوت راوية وهي تردّد:

- يبدو أنّه يمارس رياضةً شاقّةً ويذهب للجم ولكنّه لا يتناول طعامه جيّدًا، لذلك سقط مغشيًا عليه، زفرت هي بضيقٍ وهى تنظر للتوأم بتعجبٍ ونظراتهما الغريبة، لماذا لم تساعدانها عندما سقط الشابُّ على الأرض، لماذا لم تنفعلا ولم يظهر عليهما أيُّ قلقٍ على تعابير وجهيهما، لماذا تعابير وجه سميّة وملامحها بلا تعابير ومشاعر كالأموات تمامًا،

هناك شيءٌ خاطئٌ في هاتين الفتاتين. لم تردّ ميّادة عليها ولكنّها تناولت زجاجة الماء من فوق المكتب وأخذت تشرب، وسمعت صوت راوية يردّد:

- هل أنت بخيرٍ يا ميّادة؟

- الحمد لله ولكنّني متعبةٌ ولم أنم جيّدًا، قولي لي ماذا أحضر لك؟

نظرت لها راوية وازداد جحوظ عينيها ونظرت لأختها، وبعدها أخذتها من ذراعها وخرجت من المحلِّ وهي تردّد بصوتٍ غريب:

- كنا نريد تعزيتك فقط في موت جدّتك يا ميّادة، ولا نريدُ شيئًا.

ورحلتا دون أن تضيف كلمةً أخرى، وهنا شعرت ميّادة بالذنب فيبدو أنّها ظلمت التوأم، كانت تريد أن تلحق بهما لتخبرهما بأنّها آسفه وتعتذر منهما ولكنّها لم تفعل، شيءٌ داخليٌّ منعها من فعل ذلك، رغم أنّها كانت تريد الاعتذار لأنّها أحرجتهما، وهنا سمعت القرآن الكريم وصوت الشيخ المنشاوي يرتِّل سورة البقرة..لا تدري ماذا تفعل في ذلك الجهاز الذي يعمل من تلقاء نفسه ويتوقّف هكذا دون لمسه.

أخذت تمسح المياه من فوق الأرض مكان الشابّ، وتحاول

ترتيب المكان قدر استطاعتها، وهنا سمعت صوته يردّد:

- عنيدةٌ أنت يا أميرتي، لماذا لم تستريحي اليوم في المنزل أخبريني؟

- ابتسمت بفرحٍ حقيقيٍّ عند سماع صوته الحنون وكادت تلقي بنفسها بين ذراعيه، ولكنّها تماسكت بسرعة:

- يسري، لقد اشتقت إليك كثيرًا.

- لماذا نزلت اليوم يا عنيدة فوجهك شاحبٌ وتبدين متعبة.

- أكاد أجنُّ من التفكير والحزن، فقلت أغيّر المكان ربّما تحسّنت نفسيتي قليلًا.

- أغلقي المكان وهيّا نتناول طعام الغداء في أيِّ مكان.

- لا أستطيع، فليس لي نفس، سامحني.

- سوف أحضر الطعام هنا إذًا ونأكل معًا حبيبتي، وخرج بعدها وهي تنظر إليه بحبٍ فهو يعرف ما تشعر به وهو الوحيد بالكون الذي يعرف مدى آلامها وحزنها على جدّتها الراحلة.

***

أخذت كتبها ووضعتها بالحقيبة وقالت بصوتٍ طفوليٍّ

بريءٍ:

- ماما، أنا ذاهبةٌ للدرس، ردّت الأمُّ بألمٍ وصوتٍ مبحوح:

- انتظري أخاك يا هبة حتى يأتي من درسه ويوصلك فأنا متعبةٌ بشدّة.

- سوف أذهب بمفردي، أنا أعرف الطريق.

- انتظري أخاكِ، لا تخرجي بمفردك.

- ولكنّني سوف أتأخر و«ميس» سناء سوف تضربني كالمرّة السابقة، والله أنا أعرف الطريق يا ماما لا تخافي.

- أخذت الفتاة تصرخ بعناد: سوف تضربني الميس أمام أصحابي.

- انتظري أخاك قليلًا وإن لم يحضر اذهبي بمفردك وانتبهي لنفسك يا هبة.

- ردّت بفتور، حاضر ولكن حتى تعرفي لقد كبرت وأكملت عشرة أعوام وأستطيع الذهاب بمفردي كغادة صديقتي، لم تردَّ الأمُّ بل أشارت إلى كوب الماء الفارغ وقالت بوهن:

- أريد ماءً.

ذهبت الطفلة سريعًا وأحضرت كوب الماء لأمّها، ورحلت

وهي تخبر أمّها: سوف أنتظر سالم أسفل المنزل، وإن تأخّر سوف أذهب بمفردي، وركضت للخارج مسرعةً قبل أن ترفض الأمُّ المريضة، وهنا سقط الكوب من يد الأمِّ ليتهشّم على الأرض بدويٍ عالٍ وشعرت بغصّةٍ في حلقها وألمٍ في صدرها، فأخذت تردّد الشهادتين وهي تعتقد بأنّ قابض الأرواح سيزورها في أيٍّ لحظة، فلقد كانت مريضةً منذ أسبوع وطريحة الفراش ولم يسأل عنها أحدٌ بعد موت زوجها، فماذا سيفعل أطفالها إن رحلت؟ تساقطت دموعها وهى تردّد:

- يارب..

***

أسرعت الطفلة تسرع الخطى في الشارع فلقد تأخّر أخوها الكبير عليها، وقرّرت الذهاب بمفردها للدرس فهو قريبٌ من بيتها ولكنّ أمّها تخاف عليها كثيرًا بعد موت أبيها، كانت تتذكّر والدها وكيف كان يخرج معها إلى أيِّ مكانٍ ولا يدعها تذهب بمفردها وكان يمسك بيدها الصغيرة دومًا، تساقطت دمعةٌ سريعة وهي تسمع بائع غزل البنات ينادي..لقد كان والدها يشتري دومًا لها غزل البنات ويأكلانه سويًا، وقفت تنظر للبائع بحزنٍ شديد، فلم يكن معها أيَّ نقود، كانت ترى ألوان غزل البنات الأبيض و«الكرموزي» الفاتح وتنهّدت بحسرة، لم تلاحظ تلك السيّدة التي كانت ترتدي نظارةً

سوداء كبيرة لتغطي معظم وجهها، وتغطي شعرها بإيشارب أسود تلفّه حول رأسها ويظهر جزءٌ كبيرٌ من شعرها ورقبتها، وترتدي بنطلونًا أسود واسع وجاكت أسودٍ طويل، كانت تتبعها ولاحظت حسرتها ونظراتها للبائع المتجوّل، اقتربت منها ببطىءٍ ووضعت يدها على كتفها الصغيرة مردّدةً:

- هل تحبين غزل البنات؟

- هزّت رأسها بنعم، أحبّه.

- ردّدت وأين والديك، قالت ببراءة:

- مات أبي وأمّي مريضة.

- لا تحزني يا صغيرة، سوف أشتري لك غزل البنات.

- لا، شكرًا.

- لا تقولي شكرًا، فأنا صديقة أمّك وأعرف بأنّها مريضة وجعلتك تذهبين للدرس بمفردك لأنها لا تستطيع..

ردّت ببراءة:

- حقيقي أمّي مريضة وأنا ذاهبةٌ للدرس، لم تدرك الفتاة بأنّ الحقيبة التي تحملها خلف ظهرها تظهر بعض الكتب و كلُّ الأطفال في سنّها يذهبون للدروس.

اشترت السيّدة غزل البنات للفتاة، وقدّمته لها وفرحت به كثيرًا وفتحت الكيس وأخذت تأكل منه بنهم، سارت قليلًا معها وهي تردّد، سأوصلك للدرس، مشت معها الطفلة وهنا شعرت بالدوار وسمعت صوت صديقة أمّها وهي تردّد:

- لا تخافي، تبدين متعبة، سنركب توكتوك يا صغيرة حتى لا تتأخري عن الدرس، شاهدت التوكتوك يقف والسيدة تحملها وتركب بها التوكتوك ويسير بها في الطريقات المزدحمة.

***

(٧)

كان يسري عائدًا بعد أن اشترى كلَّ الأطعمة التي تحبّها خطيبته، وهنا سمع صرخاتٍ عاليةٍ و متتاليةٍ لا تتوقّف وهو بالطريق، اقترب ليعرف ماذا حدث، وكانت سيّدةٌ ترتدي الأسود ولا تستطيع السير تصرخ بهيستريا:

- أريد ابنتي...أريد ابنتي

اقترب وعرف بأنّ إبنتها متغيّبة عن المنزل منذ ساعات، وكانت ذاهبةً للدرس ولكنّها لم تذهب لدرسها واتّصلت بالأم لتخبرها بأنّ ابنتها لم تذهب للحصة اليوم، وذهب أخوها ليبحث عنها ولكن لا أثر لها، لقد اختفت وشاهدها طفلٌ زميلها بالدرس وكان يشتري غزل البنات وهي تقف مع سيّدة اشترت لها الكثير من غزل البنات ووقفت معها، وذهب هو إلى درسه حتى لا يتأخر، وقف يسري يستمع للقصّة، وعرف بأنّ الفتاة عمرها عشر سنوات، نفس عمر الخمس أطفال الذين قُتِلوا ووُجِدَث جثثهم بنفس المنطقة، ولكنّهم كانوا ذكورًا، فهي الأنثى الوحيدة.

فهل غيّر السفّاح طريقته في اختيار ضحاياه؟

سمع الكثير من الكلام من النساء المتجمعات حول المرأة الملكومة، وكيف أنّ طفلةً صغيرةً تذهب بمفردها، وكلّ تلك

الحوادث التي نسمع عنها كلّ يوم، لم يلاحظوا تعب المرأة ومرضها.

أخذت تصرخ بأن يعيدوا لها ابنتها، ووقف جوارها طفلٌ يبدو في الثالثة عشر، تتساقط دموعه ولا يتكلم، وهنا سقطت الأمُّ فاقدةً الوعي وفشلت كلُّ المحاولات في إسعافها، فاتصلوا بالإسعاف التي أتت مسرعةً وأخذت المرأة وابنها ملتصف بها يبكي بصمت، فعرف بأنَّ الطفلة المفقودة يتيمةٌ مات والدها منذ عدّة أشهر.

وقف يسري يستمع لأقاويل الناس ورعبهم ممّا يحدث في عين شمس، ومن كثرة الحوادث التي يسمعونها كلَّ يوم ولا يعرفون السبب لما يحدث وأين الشرطة ولماذا يتركون المجرمين في الشوارع والطرقات، ذهب يسري وسأل الطفل الصغير عن آخر مكانٍ رأى فيه الطفلة وبائع غزل البنات، وأشار الطفل على أحد المحلّات وهناك لاحظ وجود كاميرا للمراقبة بالجهة الأخرى أمام صالون تجميل، فهل التقطت شيئًا، لابدّ من الإتصال ببهاء لاستخراج إذنٍ برؤية الكاميرا.

سمع حديث رجلين يتحدّثان عن قتل الأطفال بصوتٍ هامسٍ، ربّما كانت هناك مقبرةٌ فرعونيّةٌ بالمنطقة ويضحّون بدماء الأطفال لجني المقبرة.

فردَّ الآخر:

- من يدري فالموضوع غريب فماذا سيستفيدوا من قتل الأطفال الصغار غير التضحيّة بهم لجني المقابر الفرعونيّة وفكِّ الرصد.

- لقد سمعت عن تلك الحوادث وسمعت عنها كثيرًا بالصعيد وحادثة بني مزار، وسيّدة أبلغت الشرطة عن زوجها الذي قيّد ابنه وكان سيذبحه ليقدّمه قربانًا لجنّيّ المقبرة التي اكتشفها أسفل منزله وأمره الشيخ بتقديم دمٍ نقيٍّ للطفل واختار ابنه ليضحيّ به لولا زوجته التي هربت منه لتبلغ الشرطة لتنقذه في آخر لحظة وكان مقيّدًا ويريد ذبحه.

- لا حول ولا قوّة إلّا بالله وكيف هان عليه فلذة كبده وولده، من أجل النقود؟ «ربنا يرحمنا من تلك الدنيا ويخرجنا منها على خيرٍ سالمين فلقد اقتربت الساعة».

- عندك حق، ربنا يرحمنا ويخرجنا منها على خير، فكثرة الحوادث والفتن من حولنا مخيفةٌ جدًّا ومرعبة، ولكن قل لي هل هناك من يحفر في منزله ناحيتك ويستعين بالشيخ الجليل؟

- أخفض صوتك فأحباب الشيخ الجليل من حولنا في كلِّ مكان، والنباشون كثيرون ولكن ليس لنا دخلٌ فيما يفعلون يا سيّد، دع الخلق للخالق.

- عندك حق فليس لنا مقدرةٌ على قوّة وسلطان الرجل وأتباعه ربّي يجعل كلامنا خفيف عليهم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

استمع يسري لحوار الرجلين بفضولٍ دون أن يلاحظاه، فلقد كان الرجلان يعرفان شيئًا عمّا يحدث، وربّما أهالي المنطقة كلّها وسكان عين شمس، ولكنّهم يخافون من سطوة الرجل ونفوذه بالمنطقة، فمن يكون يا ترى؟

رحل الرجلان بعد أن رحل الجميع، بعد أن غادرت الأمُّ المكلومة في سيارة الإسعاف، وهنا اتّصل سريعًا برئيس المباحث ليخبره بما حدث، ويخبره بأنّ الجريمة الجديدة ستكون فتاةً وليست صبيًا ككلِّ مرّة ولكنّ الغريب بأنه عرف منه بأنّه في طريقه للتحقيق في جريمة قتلٍ لفتاةٍ في العاشرة قريبةٍ من المنطقة، وجدها أحدهم في منور عمارته.

صدم يسري من الموقف وكلام الشرطيّ الغريب فكيف تمَّ قتل الفتاة بتلك السرعة فلم يمرَّ على اختفاء الطفلة سوى ساعاتٍ قليلة، هناك شيءٌ خاطىء، هتف يسري بتوتّر وهو يردّد:

- هناك شيء خاطىء يا بهاء، فكيف يتمُّ اختطاف فتاةٍ في عزِّ الظهر ويتمُّ قتلها و التمثيل بجثّتها ووضعها في منور عمارة أحدهم دون معرفةِ واكتشاف من الفاعل، أو حتى

دليلٍ على مرتكب الجريمة، لا أصدّق كلّ ما يحدث؟

- ردّ بتوتّر:

- لم يتمّ التمثيل بجثّة الطفلة تلك المرّة، ولكن...

- ماذا؟

- لقد تمّت تصفية دمائها فقط بعد قطع الوريد الوداجي بالعنق. صُدِمَ يسري من بشاعة ما سمع وطريقة قتل الفتاة الصغيرة، فلماذا هذا العالم قاسٍ بتلك الطريقة و ليست لديه مشاعر ورحمة؟ فما الذي فعلته تلك الصغيرة لتموت بتلك الطريقة الصعبة وتتألّم عند موتها حتى يصفّوا دمائها و...... هل لأنّها أرادت قطعةَ حلوى لتضيع مرارة الأيام في حلقها بعد موت والدها، لماذا انعدم الضمير وضاعت الإنسانيّة بين البشر بتلك الطريقة القاسية، فأصبحوا بلا ضميرٍ ولا قيمٍ فتلاشى كلُّ شيءٍ جميلٍ بالكون.

زفر بضيقٍ وأنهى المكالمة بعد أن عرف العنوان، وهنا تذكر خطيبته والطعام الذي أحضره لها، فقرّر الذهاب إلى ميّادة أوّلًا ليتناول معها الطعام حتى لا تغضب، ويرحل بعدها لعمله، ومن حسن الحظّ كان المكان قريبًا جدًّا من محلّ خطيبته، لم يكن يدري هل هو من حسن الحظّ أم من سوء الحظّ، فلقد أصبح متواجدًا يوميًا في عين شمس بالقرب من

الجرائم التي تحدث وفي نفس الوقت قريبًا من مكان عمل حبيبته، كلُّ هذا كان يشعره بالتوتّر والقلق عليها، بطريقةٍ غريبة. لم يكن يعلم بأنّه يحبها لتلك الدرجة ويعتبرها ابنته الصغيرة المدلّلة.

وصل للمحل سيرًا على الأقدام فقد كان يبعد شارعين عن محلّها، وكانت هي تجلس على المقعد تضع يديها فوق رأسها والدموع تتساقط ببطءٍ من عينيها.

اقترب منها وقد شعر بضعفها وقلّةِ حيلتها فهو يعرف مدى حزنها على جدّتها بعد رحيلها فهي من ربّتها واهتمّت بها، وكانت كلّ شيءٍ لها بالحياة منذ سنوات بعد موت والديها واحدا تلو الأخر في حادثة سير، نادى عليها بصوتٍ حنون:

- لماذا تبكين يا صغيرتي الجميلة؟

رفعت عيونها الخضراء الممتلئة بالدموع مردّدةً:

- أشعر بالخوف من الموت يا يسري وظلام القبر.

- فزع هو من جملتها وقال بسرعة:

- ربي يحفظك ويعطي لك طولة العمر يا ميّادة، لا تقولي ذلك من فضلك مرّةً أخرى، ستعيشين وسنتزوج وننجب عشر أبناء كلهم شبهك بعيونٍ خضراء.

- ابتسمت من بين دموعها مردّدةً عشرة أبناء!

- لن أتنازل عن عشرة يا أميرتي الصغيرة.

ابتسمت وهزّت رأسها، وهنا أخرج الطعام وهو يزيل ما فوق المكتب من أشياء، ويردّد:

- هيا، أحضرت لك الطعام السوري الذي تحبينه، وأخرج الطعام من الأكياس، نظرت بفرحٍ فلقد كانت حقًا تعشق الطعام السوري ومذاقة المميّز ونكهته، تناولت قطعةً من الدجاج بفرحٍ كالأطفال الصغار وهي تبتسم له مردّدةً:

- شكرًا يا يسري أنا حقًا أعشق الدجاج السوري والثوميّة وأخذت تأكل بنهمٍ شديد، وكان هو ينظر إليها وعقله مشغولٌ بكلِّ الجرائم التي تحدث، رفعت عيناها إليه ولاحظت بأنّه لم يتناول شيئًا فقالت بحيرة:

- ما الذي يشغل بالك؟

- لا شيء.

- أخبرني فأنا أعرفك وأعرف حبّك للطعام مثلي، ماذا حدث؟ وأبعدت الطعام من أمامها وهي تنظر إليه.

- أكلمي طعامك يا ميّادة فأنا أفكّر في العمل فقط وتلك الحوادث التي تحدث كلّ يومٍ في المنطقة وقريبةً منك.

- هل حدث شيءٌ آخر فلم أتابع الأخبار منذ وفاة جدّتي؟

- لقد قُتِلَ ستة أطفال، خمسة أولادٍ وبنت وكلّهم في عين شمس وقريبين من المحلّ.

- شعرت بالتوتّر وهي تردّد وكم أعمارهم؟

- عشر سنوات.

- لا تدري لماذا جال بخاطرها ابن أخيها مروان في تلك اللحظة، فقالت بشرود:

- ربي يستر ويتم القبض على السفاح قريبًا، سوف أنبّه على نهلة وسماح، لا يدعون أطفالهم يخرجون بمفردهم فلم يعد هناك أمان هذه الأيام.

- هذا أفضل فسفّاح الأطفال لا يرحم ويقتل بطرق بشعة ويصفّي دمَ الأطفال بلا ذرّة ضمير ولا خجل، فالحذر واجبٌ والحرص أفضل وربنا يحفظهم جميعا.

- نظرت له وكان يتلفّت حوله وينظر للمكان من كلِّ ناحية، قالت له:

- ما بك؟

- موضوع السفاح يشغلني ويقلقني عليك كثيرًا، لابدَّ من تركيب كاميرات مراقبةٍ في المحلِّ في أقرب فرصةٍ.

- كاميرات مراقبة؟

- نعم يا ميّادة سأتّصل بصديقٍ لي وأتّفق معه ليأتي غدًا لتركيب الكاميرات للمراقبة بالمكان.

- ولكنّني لا أملك نقودًا الآن فمعظم ما أملك صرف في جنازة جدّتي، فلقد كان خالي ليس لديه أيٌّ نقود ونحن آخر الشهر.

زفر بضيقٍ وهو يردّد:

- هل أخذ منك خالك ثمن دفن أمّه؟

- نعم، قال بأنّه ليس معه أيّ مال وقال بأنّني عندي إيراد المحل؟

- هل تتكلمين صدقًا؟

- أقسم لك هذا ما حدث، وأعطيته كلَّ ما معي، حتى ثمن البضاعة التي كنت سوف أشتريها أوّل الشهر.

- أنت فتاةٌ حمقاء كيف تفعلين ذلك؟

زفرت بغضب:

- ماذا كنت تنتظر منّي يا يسري وجدّتي ميّتةٌ أمامي وهو يخبرني بأنّه ليس لديه أيٌّ نقودٍ في المنزل؟

- وهل صدقت خالك؟

- لا، أعرف بأنّه كاذب، ولكنّ الموقف كان صعبًا ولن أترك جدّتي هكذا فإكرام الميّت دفنه.

وبعدها أخذت تبكي بحرقة وهي تتذكّر جدّتها وقت موتها، وكلام خالها القاسي بأنّه ليس لديه مال، فليتركوها هكذا بلا دفن ويحنطوا جثّتها لأنّها لا تريد إعطائه المال الذي تمتلكه لدفنها.

فماذا كانت ستفعل، لا أحد يشعر بما تشعر به من حزنٍ وقهر؟

شعر بمدى حزنها فربت على كتفها مردّدا:

- رحمها الله وغفر لها، وجعله في ميزان حسناتك، لا تحزني حبيبتي، سوف نركّب الكاميرات بالتقسيط، سوف أتّفق مع صديقي وأدفع له المقدم وستكون هدية عيد مولدك يا حبيبتي فلقد اقترب.

استأذن بعدها ورحل، فلقد تأخّر كثيرًا ويريد معرفة ما الذي حدث في مقتل الفتاة.

***

كان رجال الشرطة يملؤون المكان وينتشرون في المنطقة

ليمنعوا الناس من الدخول للبناية التي بها جثّة الفتاة، وكان بهاء في الداخل فلم يتمكّن يسري من العبور بين قوات الأمن ورجال الشرطة، فوقف يحاول سؤال الناس لمعرفة أيٍّ معلومة، وسمع الأقاويل الكثيرة وكان يعرف بأنَّ معظم ما يقوله الناس ما هو إلّا تهويل للأمر وتضخيمه كما هي العادة المنتشرة بين العامة، ولكن لفت نظره رعب إحدى الفتيات الصغيرات ووجهها الأصفر، وكانت تقف تشاهد ما يحدث، وتريد رؤية الجثّة، كانت ثيابها تبدو عليها قلّة الحال والفقر الشديد، وكانت تقضم أظافرها بتوتّرٍ شديد، لا يدري لمَ لفتت انتباهه ربّما لأنّ ملامحها يبدو عليها التوتّر والقلق وليس الخوف والرعب، وكأنّها تعرف الفتاة المقتولة أو رأت شيئًا، هكذا كانت حاسّته الصحفيّة تخبره، اقترب منها يسري وقال لها بهدوء:

- هل تعرفين الفتاة المقتولة؟ نظرت له بذعرٍ وكأنّه كشف حقيقتها وردّدت بخوف:

- لا، وبعدها فرّت من أمامه بسرعه.

كان يبدو عليها الكذب، طريقتها وتعبيرات وجهها وإتّساع عينيها الصغيرة وحركات جسدها وتفاجؤها بالسؤال، كلُّ هذا يؤكد بأنّها تعرف شيئًا، ركض خلفها حتى لحق بها وأمسكها من ثيابها بقوّةٍ وهو يقول بصوتٍ قويٍّ:

_أخبريني ماذا تعرفين؟

وهنا صرخت الفتاةُ بصوتٍ عالٍ وقالت بأنّه يريد خطفها، اجتمع الناس من حوله وكادوا يفتكون به وهم في موقفٍ عصيبٍ وكلُّ يومٍ حادثةٌ لقتل أحد أطفالهم وخطفه وتعذيبه، فبمجرد أن قالت الطفلة بأنّه يريد خطفها وقتلها كما فعل مع صديقتها، تجمّع العديد من الرجال من حوله وأخذوا يلكمونه ويوجهون له العديد من الضربات القويّة في وجهه، ولم يخلّصه منهم سوى رجال الشرطة وخروج بهاء، الذي أمرهم بتركه، وكان هو رغم الضرب الشديد لم يترك الفتاة من يده لأنّه كان واثقًا بأنّها تعرف شيئًا، زفر بهاء بغيظ:

- هل جننت يا يسري؟

ردَّ بألمٍ وهو يحاول إخراج منديلٍ من جيبه لوقف نزيف وجهه:

- هي تعرف شيئًا ورأت القاتل، نظر بهاء للطفلة التى كانت تبدو خائفةً وعيونها مذعورة بشدّة، بشكّ. وسألها بصوتٍ خشن:

- هل رأيتِ القاتل يا صغيرة؟ قولي الحقيقة وإلّا حبستك، هزّت رأسها بنعم ولم تردّ.

أمسك بهاء الفتاة من معصمها بقوّةٍ وسحبها من وسط

الحشود حتى يستمع لأقوالها في هدوء، وذهب يسري خلفه وهو يحاول دفع الحشود المتجمّعة من الناس ويشعر بالألم الشديد من أثر اللكمات على وجهه.

***

فتح الصبيُّ عينيه وهو يشعر بمن يجذب الغطاء من فوق جسده، كانت الغرفة مظلمةً ولكن كان هناك ضوء خافت يأتي من خارج النافذة مع الستائر المعتمة التي لا تسمح بمرور الضوء إلّا القليل، قال بصوت واهن:

- ماما أريد ماءً، كان يشعر بالظمأ الشديد والتعب، كرّر جملته ولكن لم تردّ عليه الأمُّ، سمع صوتًا غريبًا من خزانة غرفته وكأنَّ أحدًا يدقُّ الباب ويريد الدخول من داخل الخزانة، ردّد بوهنٍ اخرجي من عندك يا ملك أعرف بأنّك بالداخل. ازداد النقر والدقُّ من داخل الخزانة وصرخ هو مردّدًا:

- سوف أخبر أمّي بكلِّ شيء، توقفي عما تفعلين ستضربك أمّي ولكن الصوت أخذ يزداد والنقر يعلو أكثر وأكثر، ولم يتوقف شيء، أخذ الصبيُّ يصرخ بهستريا وهنا سمع صوت ضحكاتٍ عالية لأنثى، ووجد باب خزانته يفتح ببطء والظلام بداخلها مرعبٌ ويخيف، أخذت دقات قلبه تتسارع بشدّة ويعلو صدره ويهبط من الخوف وجسده يرتجف

بشدّة، وأنفاسه تتسارع، وهو يرى باب الخزانة وهو يفتح ببطءٍ والثياب بداخله تتحرّك للخارج وكأنّ هناك من يحرّكها.

- اخرجي يا ملك، سوف أخبر أمي.

ازداد البرد من حوله وصفير الريح في أذنيه الصغيرتين يخيفه، وتعالت الضحكات عاليةً، وصوتٌ أنثويٌّ حادٌّ يردّد:

- لقد غلبتك..

لم يكن الصوت يشبه صوت أخته ولا حتى أمّه وصوتها الحنون بل كان صوتًا آخر قد سمعه من قبل، ولكن يتمنى ألّا تكون هي ويكون ما يحدث ليس حقيقيًا، ازداد الصوت في أذنيه عاليًا وأخذ يخشن رويدًا رويدًا حتى أصبح صوتَ رجلٍ أجشّ غليظ وكان صفير الرياح عاليًا، وأخذ باب الخزانة يفتح ويقفل من تلقاء نفسه والسرير الذي يرقد عليه يعلو ويهبط من تلقاء نفسه وكأنّ هناك من يحركه ويجعله يهتزّ بتلك الطريقة، كان الصبي مرعوبًا ويكاد يموت خوفًا من شدّة الفزع وما يحدث من حوله، يريد أن ينادي على أمّه ولكنّ الصرخات لا تستطيع الخروج من فمه.

كلُّ شيءٍ أخذ يتساقط من حوله وهو يراه بفزع ولا يستطيع أن يتكلم ويصرخ، وشاهدها وهي تخرج من داخل الخزانة بشعرها الطويل الذي يغطي وجهها وثوبها الأسود،

وهنا لم يعد يتحمّل رؤيتها واقترابها منه بتلك الطريقة، فصرخ صرخةً مدويّةً وسقط فاقدًا للوعي وهو يتذكر يوم أعطته السيّدة تلك اللفافة كريهة الرائحة في الشارع ليضعها في غرفة عمته ميّادة ولا يدري كيف فعل ذلك وهو لا يتحدّث مع الغرباء ولا يأخذ منهم شيئًا.

***

جلس بهاء يدخن سيجارته بتوتّرٍ وسمح ليسري بالبقاء معه أثناء سماع قصة الفتاة، نظرت لهم برعبٍ شديد ودموعها تتساقط بخوف، كانت تبيع المناديل الورقيّة في إشارات المرور، كما طلب منها زوج أمها بعد أن جعلها تترك المدرسة، كانت عيونها خائفة وهي تنظر إليهم وجسدها الهزيل يرتعد من شدّة الخوف، نظر لها يسري بشفقةٍ فلقد رقَّ قلبه لحالها وضعفها، ابتسم لها مشجعًا ولكنّها كانت لا تطيقه لأنّه السبب فيما حدث وهو الذي جعل الشرطة تمسكها.

سمعت صوت الشرطي يقول لها بغلظة:

- أخبريني القصة من البداية يا صغيرة.

لم تردّ عليه في البداية، ولكن مع صرخته قالت برعب:

- أنا لم أفعل شيئًا، كنّا نبيع المناديل أنا ونورا أمس، وذهبت هي للسيّدة لتطلب منها شراء المناديل، وتحدّثت معها

وبعدها ركبت معها التوكتوك ورحلت، هذا ما حدث.

- قال بهاء مفكرًا:

- وهل تعرفين نورا صديقتك؟

- أعرفها من الشارع فهي تبيع المناديل مثلي، وكنا نشترى الطعام ونأكل سويًا بعد الانتهاء من بيع جميع العلب، كانت تقول لي لا تعطي زوج أمّك كلَّ الأموال وخذي جزءًا منه وأخفيه حتى تشتري ما تريدين، ولكن زوج أمّي كان يعرف أحيانًا ويضربني بعنف.

- وكم كان عمر نورا؟

- كانت أكبر مني بسنتين، فكان عمرها عشر سنوات.

- وهل سألك أهل نورا عنها؟

- لا، لم يسأل عليها أحد.

- لماذا؟

- لأنّه لم يكن لها أهل، كانت تعيش في الشارع، قالت لي أنّ أباها طردها هي وأخوها من المنزل منذ سنوات، وأخوها دهسته سيارةٌ ومات أمام عينيها منذ عام، وكانت تنام أسفل الكوبري مع أطفالٍ آخرين.

- وهل تعرفين شكل السيّدة التي ركبت معها نورا التوكتوك؟

- كانت بدينةً وشعرها أسود، ترتدي نظارةً كبيرةً سوداء تغطّي معظم وجهها و و....بعدها صمتت.

- هيا أكملي وماذا أيضا؟

- كانت يداها فيها شيءٌ غريب..

- كيف؟

- رسمٌ أخضرٌ غريب، شكله مخيف، له أيادٍ كثيرة..كالعنكبوت بعيونٍ حمراء.

- هل رأيتها عن قرب؟

- حاولتُ عندما وجدتُ نورا تتحدث معها فترةً، قلت ربّما أعطتني المال كما أعطتها، فاقتربت منهما، ولكن عند اقترابي ركبتا التوكتوك ورحلتا بسرعة، ولكنّني رأيت يديها وهي تدخلها الحقيبة يبدو بأنّها كانت تخرج شيئًا من داخلها.

- وهل كانت صديقتك خائفةً وهى تتحدّث معها؟

- لا كانت تضحك وسعيدة، لذلك كنت أشعر بالغيظ فكانت السيّدة تبدو طيبةً وكريمة.

- زفر بضيقٍ وهو ينظر لها:

- طيّبة وكريمة لذلك قامت بقتلها؟ أخذت الفتاة تبكي بقهرٍ ودموعها تتساقط وهي تردّد:

- هل كانت الفتاة المقتولة هي نورا صديقتي؟

لم يردَّ عليها بهاء بل ضغط على زرٍّ أمامه،وطلب من الجنديِّ أخذ الفتاة وتمَّ وضعها في مركزٍ لرعاية الأطفال حتى يستلمها أهلها، وخرجت الفتاة وهي تبكي بخوف، طفلةٌ لم تكمل التاسعة من عمرها فلماذا يحدث لها ذلك، لقد كانت تريد اللعب والذهاب للمدرسة كباقي أصدقائها، ما ذنبها فيما يحدث معها بالحياة؟

نظر يسري إلى بهاء مردّدًا:

- هناك فتاةٌ أخرى خطفت اليوم يا بهاء غير بائعة المناديل.

نظر له بعيونٍ مذعورة مردّدا:

- وكيف عرفت؟

قصَّ عليه ما حدث اليوم، وكيف سقطت الأمُّ فاقدة الوعيِ ونُقلت للمستشفى بعد اختفاء ابنتها ومعرفتها بركوبها توكتوك مع سيّدة غريبة.

- إذًا القاتل هو امرأة ولكن لماذا تقتل الأطفال، ففتاة اليوم

كانت مذبوحةً فقط وتمّت تصفية جسدها من كلِّ الدماء، ولم تقترب من أعضائها الداخلية كباقي الأطفال.

- ردّد يسري بشرو:

- أعضاء بشرية مختفية، ودماء أطفال، ووشوم مرعبة، وسيّدة تلبس الأسود، أتدري، أشعر بأنّ الأمر مرتبطٌ بالسحر الأسود والجنّ، فكلُّ تلك الأشياء تستخدم فيه.

- ما هذا الجهل يا يسري فهل ستؤمن بتلك الخرافات؟

- لا ليست خرافات فالسحر ذُكِرَ في القرآن الكريم، ولكنّ ما يحدث بمنطقة عين شمس غريبٌ ومرعب، ربّما كان أحدهم يحفر أسفل منزله واكتشف مقبرةً ما، وكلُّ هؤلاء الأطفال ما هم إلّا ضحايا ويريدون فك رَصَدِ الجنّيِّ المكلّفِ بالحماية كما هي العادة في فتح المقابر الفرعونية، فليس هناك تفسير منطقيّ لقتل أطفالٍ صغارٍ إلّا ذلك التفسير، وأنت تعرف بأنّه أمرٌ مشهورٌ ومتداولٌ عند فتح المقابر الفرعونية.. ويحدث.

- أتّفق معك، الأمر ليس طبيعيًا وربّما ما تقوله صحيحٌ يا يسري، ولكن حتى الآن سبعة أطفال، فالعدد كبيرٌ ومرعبٌ، ولن يكون هذا هو السبب، فتح مقبرةٍ فرعونيّة، إحساسي يقول بأنّ هناك شيئًا آخر، سنذهب لجمع التحريات والأدلّة، ربّما توصلنا لمكان الفتاة المخطوفةِ قبل قتلها.

- إن شاء الله تلقون القبض على المجرم قريبًا، فالأمر أصبح مرعبًا ومخيفًا. ذهب بعدها بهاء لجمع الأدلّة وسؤال الناس وتفريغ كاميرات المراقبة القريبة من أماكن الحوادث.

ربّما توصّلوا لشيءٍ لمسك تلك القاتلة، فآخر ما توصّلوا إليه أنّ سيّدةً هي من تقوم بإختطاف الأطفال واستدراجهم، فلن يصدّق الأطفال رجلًا ويثقون فيه ولكنّهم سيثقون في امرأةٍ تشبه أمهاتهم، تعاملهم بلطفٍ وخصوصا عندما تقدّم لهم الحلوى التي يحبونها.

***

(٨)

انشغل يسري في الجرائم البشعة للأطفال التي تحدث يوميًا في منطقة عين شمس، والغريب بأنّ الشرطة بعد تفريغ الكاميرات وجدت نفس مواصفات السيّدة التي أخبرتهم بها بائعة المناديل، مع انتشار الكاميرات بالمنطقة بدأت صورة المرأة تظهر أكثر، لم تظهر ملامحها كاملةً فالنظارة السوداء التى ترتديها والكمّامة التي تغطي بها أنفها وفمها لا تظهر شيئًا من ملامحها، كانت القاتلة تعرف جيّدًا ما تفعل، ولكنّ الوشم المرسوم على كفوف يديها ويديها كان واضحًا وبدا يظهر أكثر في الصور التي تلتقطها الكاميرا، وبعد تكبيرها بالعدسة وضح الرسم جيّدًا وكان عبارةً عن عنكبوتٍ كبيرٍ لونه أخضر، عيونه حمراء، مرسومٌ على كفِّ اليد، كان الرسم مخيفًا جدًّا وغريبًا ولكنّه واضحٌ ومميّز و ربّما كانت علامةً مميّزة للقاتلة.

كانت الشرطة تبحث عن السفّاحة في كلِّ مكانٍ بلا جدوى، فلم تكن ملامحها واضحةً. لم تيأس الشرطة في العثور عليها، وكثّفت الدوريات والبحث في كلِّ مكان وكانت تضيّقُ الخناق وتفتّشُ المنطقة، لدرجة أنّ الشرطة أصبحت ترسل دورياتٍ لتوعية الناس والتنبيه عليهم للحفاظ على أطفالهم والانتباه إليهم وعدم خروجهم بمفردهم بدون رقيبٍ عليهم،

وانتشرت منشوراتٌ على مواقع التواصل الإجتماعيّ تنبّه على سكان عين شمس بضرورة الانتباه لأطفالهم حتى لا تحدث جريمةٌ أخرى ويروح ضحيتها طفلٌ جديد بسبب إهمال الأهل، الكثير والكثير من روّاد مواقع التواصل الإجتماعيّ ومشاهيره تحدّثوا عن الأمر، وبعض قنوات التلفزيون تحدّثت عن الجرائم ونبّهت السكان بضرورة الحذر والتبليغ عن أيِّ شيءٍ جديد لرجال الأمن في الحال، وعدم التستّر على الجاني، أخذت دوريات الشرطة تمرُّ بكلِّ مكانٍ بلا توقُّف وباستمرارٍ ليل نهار بكلِّ مكانٍ بمنطقة عين شمس، و كلُّ هذا لم يمنع من حدوث جرائم أخرى. طفلتان أخريان تمَّ ذبحهما وتصفية دمائهما بنفس الطريقة البشعة وليس هناك دليلٌ سوى رسمة العنكبوت على كفِّ اليد التي تظهر في كاميرات المراقبة، وآخر حادثةٍ تمَّ التعرُّف على سائق التوكتوك ولكنّ الرجل لا يتذكّر شيئًا، لقد قبضت عليه الشرطة بعد التعرّف على مكينته وتوصُّلِ رجال البحث الجنائيّ لها، وجمع الأدلة من خلال إحدى كاميرات المراقبة ومن خلال نشر الصورة على مواقع التواصل الإجتماعيّ ومشاركة الفيديو للآلاف من الأشخاص، تمَّ القبض على سائق التوكتوك، فبالرغم من مساوىء مواقع التواصل الإجتماعيّ، والسلبيات الكثيرة التي تسببّها عند الاستخدام الخاطىء بدون عقلٍ وتفكير، نجد أن لها مميزاتٍ عديدة

عند استخدامها بطريقةٍ صحيحةٍ كما حدث هنا، لقد توصلت الشرطة في ساعات قليلة لسائق التوكتوك ولكن كان الرجل محموم ويرقد في فراشه بين الحياة والموت يخترف، عند سؤال زوجته أخبرتهم بأنّها لا تعرف شيئًا ولكنّ زوجها عاد من العمل يشعر بالصداع، فأعدّت له كوبًا من الشاي وأخذ قرصي مسكنٍ ونام ولكنّه يهذي وحرارته مرتفعةٌ جدًّا، حاولت عمل كمّادات على رأسه ولكنّ الحرارة لا تنخفض، حتى اقتحم رجال الشرطة المنزل، وكان الرجل يهذي ومحموم من الحمى، لم يستطع رجال الشرطة أخذ أقواله فقد كانت حالته سيئةً جدًّا.

وبعد يومين عندما استفاق أخبرهم بأنّه لا يتذكر شيئًا، فلقد ركبت معه سيدةٌ ترتدي ثيابًا سوداء ونظارةً سوداء كبيرة وكمّامةً تغطى بها وجهها، ولا يتذكر شيئًا ولكنّه يتذكّر ذلك العنكبوت الكبير.

على كفّي يديها جيّدًا، لا يتذكّر شيئًا آخر، مع كثرة الأسئلة والضغط على الرجل لم يغير من أقواله شيئًا فيبدو أنّه صادقٌ فأخلاق الرجل وسمعته في المنطقة تشهدان له، فهو يعمل في شركةٍ صباحًا وبعد العصر سائق توكتوك ليكفي متطلبات أطفاله وأسرته. وهنا كانت الشرطة في حيرةٍ ممّا يحدث فهناك شيءٌ خاطئٌ في الأمر.

جلس رئيس المباحث بهاء مع معاونه ومساعده والصحفي يسري الذي أصبح لا يفارق بهاء في الفترة الأخيرة، ليس من أجل الفوز بسبقٍ صحفيٍّ ولكن من أجل القبض على المجرم، فلقد شاهد بنفسه ما يفعله السفّاح بضحاياه وكيف يخرج أعضائهم أو يصفي دمائهم بلا ذرةِ رحمةٍ وضمير، كان يريد القصاص العادل فقط والعدالة والقصاص من ذلك الوغد الذي انتزعت الرحمة من قلبه والضمير من جسده والإنسانيّة، فأصبح أداة قتلٍ بلا سببٍ منطقيٍّ فماذا فعلت له تلك الملائكة البريئة حتى يسلبها حقها في الحياة؟

قال يسري بصوتٍ شاردٍ وهو يتذكّر أحد الشهود وهو يكرّر «الشيخ الجليل» فنفض عن عقله الفكرة وردّد:

- لماذا لا يكون الرجل تعرّض لنوعٍ من أنواع السحر حتى لا يتذكّر ما حدث وقتها؟

ابتسم بهاء بسخريةٍ مردّدا:

- ولقد سحره نفرٌ من الجنِّ أليس كذلك؟

- فكِّر في الأمر بمنطقيّة، ربّما كان الرجل صادقًا فيما يقول وهو لا يتذكّر حقًّا، كما أنّ الشرطة قبضت عليه وكان محمومًا ويهذي وبينه وبين الموت خطوة لولا التدخّل الطبيِّ، فلمَ لا يكون صادقًا وسحرته المرأة العنكبوتيّة؟

ضحك يسري وهو يردّد:

- بما أنّها امرأةٌ عنكبوتيّة، فلقد سمّته بعد لدغه بنوعٍ من السموم الموجود في لسانها لتخدّره كما يفعل العنكبوت مع ضحاياه وفريسته، أعتقد هكذا سيكون أفضل.

- نظر له يسري كثيرًا ومعاون المباحث سامح، الذي تحدث بهدوء:

- تفسيرٌ منطقيٌّ جدًّا ولكن هي لا تلدغ الضحايا بلسانها فربّما رشّت السمَّ على وجوههم أو حقنتهم دون أن يشعروا، لو لاحظت يا يسري بك، الفتيات اللاتي تسحبهنّ لقتلهن لا يقاومنَ ما يحدث، بل يَسِرنَ بهدوءٍ ويُطِعْنَها كالمغيّبات تمامًا، حتى سائق التوكتوك لا يتذكّر شيئًا هو الآخر وما حدث، فهي تستخدم الطريقة العنكبوتيّة في اصطياد فرائسها بِرَشِّ السمِّ على وجوههم ليخدّرهم ويستطيع لفَّ خيوطه حولهم ليأكلهم وقتما يريد، أشعر بأنّه تفسيرٌ منطقيّ.

ونظر إلى وجوههم، كان يسري يؤيّد كلامه ويوافقه التحليل، ولكنَّ بهاء لم يقتنع بتلك الفكرة فهزَّ رأسه وهو يمسك هاتفه مردّدًا:

- سنتأكد من تحليلك هذا بأخذ عيّنةٍ من دم سائق التوكتوك وتحليلها ربّما أثبت الطبُّ الشرعيُّ شيئًا، لأنّ تقارير جثث

الضحايا لم يظهر فيها أيّ سمومٍ أو مخدّر.

- ردَّ يسري، أتمنى أن يجدوا شيئًا فهناك سمومٌ ومخدّرٌ لا يبقى في الجسد سوى ساعاتٍ قليلة، لقد قرأت منذ فترةٍ عن تلك النوعيّة من السموم، فلو تلاحظ بأنّهم يلقون الجثث بعد يومٍ كاملٍ من التخلص منها، وهذا أمرٌ غريب، إلّا إن كانوا لا يريدون اكتشاف شيءٍ عند تشريحها والطبِّ الشرعيِّ.

- ربّما يختارون الوقت المناسب لإلقاء الجثث حتى لا يراهم أحد.

- ربّما من يدري، سوف يؤكّد الطبُّ الشرعيّ والمعمل الجنائيّ كلّ هذا إن شاء الله.

نظر لهما بهاء وهما يتبادلان الحديث عن نظريتهم وبفسران الأحدث بطريقةٍ منطقيّةٍ منمقةٍ هزَّ رأسه وهو يبتسم بسخريةٍ:

- لو أنّ ما تقولانه حقيقيّ عن نظريّة العنكبوت وذلك السمّ الذي يخدّر به ضحاياه ليشل حركتهم، رغم أنّني لا أصدق تلك الخرافات، فالعناكب ليست سامّة ولا تخدّر ضحاياها بل تصنع شبكاتِ الخيوطِ العنكبوتيّة في الأماكن التي بها الفرائس لتصيدها، ومن خلال تلك الخيوط تقتل ضحاياها ولكنّ النوع السامّ الموجود في مصر وهو الأرملة السوداء

وهو نوعٌ من العناكب السامّة ومنتشرٌ في بعض المناطق من مصر كالأسكندريّة وتعيش الأنثى ثلاث سنواتٍ والذكر شهرين فقط لأنّ الأنثى تقتله بعد التزاوج وتقوم بأكله ولذلك سميّت بالأرملة السوداء وتلك العنكبوت لونها أسودٌ وبها بقعٌ حمراء على ظهورها، ولدغتها كوخزة الدبوس، تسبّب تقرُّحاتٍ ثمَّ تورم وبعدها ينتشر السمُّ في الجسد كلّه، ولدغتها سامةٌ جدًّا وأقوى سميّة من لدغة الأفعى ب ١٥ مرّة فالسمُّ الذي تطلقه يؤثِّر على الجهاز العصبي «latrotoxin»، وتتناول الذباب واليرقات والخنافس والصراصير والحشرات المختلفة، وتعيش الأرملة السوداء في الأماكن المظلمة والحظائر والطوابق السفليّة والأماكن التي بها نباتاتٌ كثيفة وهي أنثى سامّةٌ ومرعبةٌ جدًّا ومخيفةٌ لأقصى درجة ربّما أكثر من تلك القاتلة التي نبحث عنها..كان يستمتع بنظراتهما المنبهرة به وبمعلوماته عن تلك العنكبوت التي تدعى الأرملة السوداء، وهما لا يعرفان عشقه وحبّه لعالم الطبيعة وأسرارها، أخرج سيجارةً وأشعلها وهو متلذّذٌ بتلك النظرات التي تشعره بالفخر وفائدة ما يقرأه من معلوماتٍ علميّة عن عالم الطبيعة وبعدها أكمل وهو ينفث دخان سيجارته عاليًا:

- وبما أنّ جثث الأطفال القتلى لم يكن بها أيُّ مخدرٍ، إن كانت نظريتكما صحيحة، فإنّ نوع السمِّ سينتهي بعد ساعاتٍ قليلة ولا يظهر في التشريح ولا يكتشفه الطبُّ الشرعيّ،

فمعنى هذا أنَّ عينّة من دمِ سائق التوكتوك لن تفيد في شيء لأنّه قابل القاتلة منذ أربعة أيام، أي أنّ السمَّ تلاشى في جسده تمامًا إن صحت نظريتكما عن الأرملة السوداء.

نظر معاون المباحث إلى الصحفيّ وعيون كلٍّ منهما متسعة بحسرةٍ وزفر كلٌّ منهما، فلم يفكّرا في تلك النقطة، ولكن كيف سيثبتان صحّة نظرية العنكبوت؟

ابتسم بهاء بسخرية وهو يكبّر صورة يدِ السقّاحة على شاشة الكمبيوتر المحمول التي أمامه لأعلى درجة، لتظهر الصورة كاملةً لكفِّ يد القاتلة ومرسومٌ عليه وشم العنكبوت السامِّ الذي لدغته مميتة توصل المرء إلى القبر في دقائقَ معدودة، وهمس لنفسه إنّها هي بشرِّها وشكلها المرعب وعيونها المخيفة....الأرملة السوداء.

***

وقفت ميّادة في منتصف الصالة وجسدها يرتجف كورقةٍ تحرّكها الرياح الشديدة وسط عاصفةٍ هوجاء، كانت تسمع صوت طرقٍ شديدٍ يأتي من غرفة جدّتها الميّتة، لم يكن هناك أحد معها بالمنزل، ورفضت البقاء مع زوجة أخيها، وعادت لشقّة جدّتها ولكنّها كانت تسمع الطرق يأتي من داخل غرفة جدّتها المظلمة كلَّ يوم في نفس موعد موتها. في البداية اعتقدت بأنّ أحد الأطفال دخل واختبأ في

الغرفة، وعند تفتيشها لم تجد شيئًا، تركت المصباح مضاءً والراديو على إذاعة القرآن الكريم، وأغلقت الباب ولكن بمجرّد خروجها من الغرفة انفصلت الكهرباء وعمّ الظلام، وشعرت بتلك الأنفاس التي تخنقها من جديد وكأنّ هناك أحدًا معها بالمنزل وصوت همساتٍ خافتة وكأنّ هناك من يتكلم من حولها في الظلام، وشعرت بالبرودة الشديدة وانخفاض درجة حرارة الغرفة وصوت صفير الرياح هووووووووووووووففففففففففف..

لم تعد تتحمّل فصرخت برعبٍ وكادت تصاب بأزمةٍ قلبيّة حادّة، لولا أن فتحوا الشقة عليها وعندما قصّت عليهم ما رأت لم يصدّقها أحد، ووبّخها خالها وأمرها بالمبيت عند زوجة أخيها أو عنده، ولكنّها رفضت وأصرّت على البقاء في شقة جدتها.

وأمام إصرارها تركوها تفعل ما تريد، وكانت نهلة ستقيم معها ولكن رفض ابنها مروان وأخذ يصيح لا، وكان الصبيُّ مريضًا لا تعرف سبب مرضه وذهبت به لأكثر من طبيب، ولكن ليس هناك تفسيرٌ لما يحدث له وتلك الحمى الغريبة التي يتعرّض لها من حينٍ لآخر وترفع درجة حرارته بشدّةٍ وتجعله يهذي ليلًا وفي الصباح يعود لطبيعته، كل التحاليل الطبيّة كانت سليمة وليس بها شيء وحتى الأشعة المقطعيّة

على المخّ، كلُّ شيءٍ طبيعيّ وليس بالطفل شيءٌ عضويٌّ، فأخبرهم أحد الأطباء بضرورة عرضه على طبيبٍ نفسيٍّ ربّما المشكلة نفسيّة أو تعرّض لموقفٍ سيئٍ، وطلب من الأم تسجيل ما يقوله أثناء الهذيان والحمّى وهو نائم، وأخذ ما يقول من كلمات والذهاب للطبيب النفسي ربّما عرف سبب مشكلته وما تعرّض له ولا يستطيع البوح به لأحد ولكنّ عقله الباطن يريد التحدّث وإخبار أحدٍ فربّما الطفل في صراعٍ ما بين رغبته في البوح وتهديد أحد له إن تكلم..كان تفسير الطبيب منطقيًا وقرّرت نهلة أخذه للطبيب النفسيّ للأطفال وكانت مشغولةً وقلقة البال على ابنها.

كانت ميّادة تعرف كلَّ هذا، وقرّرت أن تتحمّل ولا تزعج أحدًا، حتى يسري عندما تحدّثت معه مرّةً وكانت تريد أن تحكي له، ولكنّه لم يستمع لها واعتذر ورحل سريعًا بعد سماعه بخبر جريمة قتلٍ جديدةٍ في منطقة عين شمس، فبالرغم من أنّه أصبح لا يغادر المنطقة ودوما بالجوار إلّا أنّه أصبح بعيدًا ومشغول البال والفكر عنها، فالقرب ليس قرب الجسد والمكان بل هو قرب الفكر والعقل.

شعرت ميّادة بأنّه بعيدٌ عنها رغم قربه الشديد منها، جعلها حائرةً وحيدةً رغم قرب المسافات بينهما ولكن العقل لم تكن هي اولى اهتماماته في تلك الفترة بل الحوادث والجرائم

والعمل والتحقيقات.

ورغم ذلك كانت هى متربعةً المرتبة الاولى على عرش قلبه، كانت تشعر بالوحدة في تلك الفترة والخوف، تريد أن تعرف ما تلك الطرقات القادمة من خلف باب الغرفة المظلمة لجدتها، قرّرت ألا تصرخ وألا تستغيث بأحد ستواجه مخاوفها تلك المرة مهما حدث..

وقفت بثباتٍ في الصالة تحاول ألا ترتعد أوصالها، كانت تحاول ترديد ما تحفظة من آيات الذكر الحكيم، ولكن شعورًا بالتنميل الشديد في لسانها جعلها تشعر بالعجز..اتخفضت درجة الحرارة من حولها فشعرت بالإرتجاف الشديد وهنا سمعت همسًا في أذنيها، حاولت الإنصات لتفهم ولكنّها لم تسمع سوى حروف متطايرة ت ت ت....

رأت شيئًا أسود يجري من أمامها،ليدخل الطرقة الطويلة إلى دورة المياة، ووجدت مصباح الطرقة يهتزُّ حتى انطفأ مرّةً واحدة، وبعدها مصباح الصالة ومصباح غرفتها كانت الأنوار تنطفىء والمصابيح تغلق من تلقاء نفسها واحدًا تلو الأخر وكأنّ هناك من يلعب بها، وهي تنظر لما يحدث أمامها برعبٍ شديدٍ وعيونٍ مذعورةٍ لا تصدق ما تراه أمامها، وضعت يديها فوق فمها، لتمنع صرخةً حبيسةً كانت تريد التحرّر والتعبير عما بداخلها من رعبٍ وخوف..

تمالكت وحبستها بعد أن تذكّرت تهديد خالها لها، كلُّ الشقّة أصبحت مظلمة كالقبور، إلّا غرفة جدّتها كانت ترى الضوء يخرج من أسفل الباب، كانت تريد ترديد آيات الذكر الحكيم ولكنّ لسانها لا يطاوعها ولا يريد فعل شيء..

شاهدت الباب يفتح ببطءٍ شديد مصدرًا صوت صريرٍ عالٍ، وهنا رأت جدّتها الميّتة ترقد على فراشها وتنظر لها وتنادى عليها ميااااادة مصدرةً صدى صوتٍ غريب، وفي تلك اللحظة لم تعد تتحمّل فخارت قواها من شدّة الصدمة وسقطت فاقدة الوعي.

***

قررت نهلة أن تقعل ما نصحها به الطبيب، وأن تسجِّل كلَّ ما يردّده ابنها وقت الحمى، تركت الهاتف يعمل على تسجيل الصوت وغادرت الغرفة لتستريح قليلًا، فلقد كانت منهكةً بشدّة طوال اليوم، وضعت رأسها فوق الفراش وهنا وجدت ابنها الصغير سامر يركض إلى فراشها ويدسُّ رأسه أسفل الفراش مردّدا:

- أمّي أنا خائف..

- بسم الله الرحمن الرحيم ماذا حدث يا ولدي؟

- مروان...وبعدها صمت ولم يتكلم وأخذ يرتجف بشدّة.

سمعت اسم ابنها مروان وشعرت بغصّةٍ في حلقها فنهضت بسرعةٍ إلى غرفته لتعرف ما الذي حدث، وهناك كان الصبي يتقيّأ سائلًا أخضر اللون لزجًا يملأ الجدران والأرضيات والفراش شعرت بالصدمة من المنظر فأخذت ابنها إلى الحمام وجعلته يخرج ما في جوفه، فكان يخرج سائلًا أسودًا لزجًا كالطين من فمه، كان الموقف مرعبًا لا تدري كيف تتصرّف وماذا تفعل فابنها يضيع منها اتصلت على والدها وأمّها ليأتيان لها في الحال لأخذ مروان للمستشفى، حضر الأبوين وأخوها على عجلٍ وكانوا يسكنون قريبًا من منزلها، كانت تبكي لا تعرف ماذا حدث لابنها، هل سيموت؟

كانت الأفكار السوداء تملأ عقلها وقلبها سيتوقف من شدّة القلق والرعب على ابنها، صرخت بِلَوْعَةٍ عند رؤية أمها:

- مروان يموت يا أمي.

كانت منهارةً بشدّة ورأت الأمُّ كميّة ما أخرجه حفيدها من معدته وشعرت بالقلق والتوتر هى الأخرى، أخذ والدها وأخاها الصبيّ وذهبا إلى المستشفى ورفضا أن تحضر معهما ولكنّها كانت كالمجنونة ستفقد عقلها، إن بقيت في انتظار عودته فلحقت بهما بثياب المنزل..وبقيت والدتها مع طفليها بالمنزل واقترب سامر من جدّته وهو يبكي مردّدا:

- جدّتي هل مروان سيموت؟ فزعت الجدّة من سؤال

الطفل فقالت بسرعة:

- لا يا حبيبي بعد الشر لن يحدث له شيء.

- ولماذا كان يتحدث مع السيدة؟

- انتبهت الجدّة لكلامه مردّدةً:

- أيُّ سيدةٍ يا سامر؟

- السيّدة السوداء

- من هي؟ هل رأيتها يا ولدي؟

- لا ولكنّني سمعت صوتها مرّةً وكان صوتًا مرعبًا..ومروان دوما يذكرها وهو نائم ويقول بأنّها ستقتله.

- لا تقل هذا يا سامر، أخوك مريض وسيعود بخيرٍ إن شاء الله تعالى للنظف كلَّ تلك الفوضى..

- أصرّ الطفل وأخذ يردّد:

- أنت لا تعرفين شيئا يا جدتي وتركها وذهب لينام في غرفة أمّه مع أخته الصغيرة..بعد أن أضاء المصباح..

ذهبت الجدّة إلى غرفة حفيدها لتنظّفها حتى يعودوا من المستشفى، وكان السائل الأخضر والأسود يملأ الغرفة ورائحةٌ كريهةٌ خانقةٌ بالغرفة، ردّدت بهمس:

- شعور سيّئٌ، يا ساتر ما هذا المنظر ربي يشفيك يا مروان ويعفو عنك، كان حفيدها الكبير وأول فرحتها، ولا تدري ماذا حدث له منذ إسبوعين وهو مريضٌ ولا أحد يفهم ما الذي أصابه حتى الأطباء..

فتحت النافذة لتهوية الغرفة وأحضرت دلو ماءٍ وضعت فيه منظفاتٍ ومطهرات وأخذت تزيل الأوساخ من فوق الأرض والجدران، ورفعت غطاء الفراش لتضعه في الغسّالة، وهنا وجدت رمالًا بيضاء أسفل فراش الطفل.

أمسكت الرمال بيديها وكانت بودرة بيضاء تشبه الرمال، رفعت فراشه أكثر فوجدت ما يشبه الرماد لورق محترق، استعاذت بالله من الشيطان الرجيم وشعرت شعورًا سيِّئًا حيال كلِّ هذا، وجدت هاتف ابنتها على الأرض رفعته وكان يسجل أوقفته وأرادت أن تعرف ما الذي حدث؟

جلست بعد أن نظرت للغرفة وكانت نظفتها قدر استطاعتها، وإمكانها، وضغطت على التسجيل لتسمع ما الذي حدث مع الصبيّ.

وهنا أتى سامر وهو يردّ، أستطيع النوم بمفردي فالشبح سيخرج لي.

- أخذته في حضنها ووضعت الهاتف على المكتب وغادرت

الغرفة مع حفيدها وهي تحاول أن تطمئنه.

ردّد الطفل:

- هل مروان سيعيش؟

- إن شاء الله سيعيش وسيكون بخير لا تقلق يا حبيبي.

- هل تكذبين؟

- ومنذ متى أكذب عليك يا بني؟

نظر لها واحتضنها بشدّة مردّدا أحبّك جدّتي.

***

كان يسري منشغلًا بالجرائم التي تحدث يوميًا والبحث عن القاتلة الهاربة، وكان لا يرى خطيبته ميّادة

إلّا قليل، وكانت هي ذابلةٌ تحول لونها للّون الأصفر وتحت عيونها سوادٌ من شدّة الإرهاق والأرق، وعدم قدرتها على النوم بسبب ما يحدث من حولها وفي غرفة جدّتها ليلًا، لا تدري ماذا تفعل وماذا يريد شبح جدّتها منها، كانت تحكي له كلّ ما يحدث معها وكان يعتقد بأنّها تهيّؤات وخوف من البقاء في شقّةِ جدّتها وحيدةً بعد اليوم، وأخبرها ربّما كانت روح جدتها مازالت عالقةً بالمنزل لم ترحل بعد، فلم يمضِ أربعون يومًا على رحيلها من الأرض وموتها، فلقد أخبرته أمه

يومًا ذلك عندما كان يرى شبح جدّه بعد الموت مباشرةً

وهو صغير.. وكان خائفًا مذعورًا وقالت له تلك القصة:

الموتى يحومون حول أحبابهم في الارض أربعين ليلة ليطمئنوا على أحوالهم، وحتى يترحموا عليهم ويقرأوا لهم الفاتحة.

فربّما كانت روح جدّتها تريد الاطمئنان عليها فقط، وليس إفزاعها لأنّها كانت متعلقةً بها وتحبّها بشدّة، ولكنّها كانت خائفةً ومذعورةً من تلك الأمور الغريبة التي تحدث معها ليلًا وهي بالشقّة وحيدة، لم تعد تحكي لأحدٍ غيره هو فقط حتى لا يتّهموها بالجنون، ولكنّه للأسف خذلها هو الآخر بانشغاله عنها بالعمل والتحقيقات الصحفيّة.

حاول الاتّصال بها كثيرًا بعد منتصف الليل ولكنّها لم ترد، شعر بالقلق فلقد اعتاد أن يسمع صوتها قبل النوم منذ سنوات.

ولكن اليوم لم يتّصل بها نهائيًا بسبب الحادثة التي حدثت اليوم، وعثور الشرطة على طفلةٍ مذبوحةٍ من جديد كالأطفال الآخرين، وكانت تلك المرّة جثّة الفتاة مختلفة عن سابقاتها الأربع، فلقد فتحت السفّاحة بطنها وأخذت قلبها الصغير وعينيها، فكان مشغولًا طوال اليوم مع رجال

البحث الجنائيّ يبحث ويحاول معرفة شيءٍ ربّما ساعدهم، فالموضوع مقلقٌ ومرعبٌ، فلا يعرفون كيف تقوم القاتلة بفعل ذلك دون أن يراها أحد، وكأنّها شبحٌ أو الرجل الخفيّ.

حاول مرارًا وتكرارًا ولكن بلا فائدة، فصوت الجرس يرنُّ بلا مجيب ولا ردّ. زفر بضيقٍ مردّدا:

- ربّما نامت مبكّرًا اليوم فهي مرهقةٌ منذ أيام، ووضع الهاتف وقرّر النوم، وهنا رنّ الهاتف الجوال وتناوله بلهفة معتقدًا بأنّها هي، ولكنّه كان بهاء صديقه ومفتش المباحث المسؤول عمّا يحدث من جرائمٍ في منطقة عين شمس سمع صوته يقول:

- هل مازلت مستيقظ يا يسري؟

- كنت سأنام الآن، حدسي واتصالك في هذه الساعة يخبراني بأنّ هناك جديدًا في القضيّة، فهل أمسكتم بالأرملة السوداء؟ ضحك بهاء بصوتٍ عالٍ وهو يردّد:

- وأطلقت عليها الأرملة السوداء أيضا؟ وأكمل ضحكه فقاطعه يسري المشغول الفكر بخطيبته مردّدًا:

- ماذا عندك يا بهاء؟ أخبرني، فلقد أشعرني اتصالك بالتوتّر الشديد لن أخفي عليك.

- لا تقلق يا صديقي، كنت أودُّ إخبارك بأنّ نظريتك العنكبوتيّة صحيحة.

- لا أفهم؟

- ما أقصدة هو أنّ القاتلة تستخدم نوعًا غريبًا من السموم « كالمخدّر يجعل المرء لا يتذكر شيئًا ممّا حدث عند وصوله للأغشية المخاطيّة وتستطيع من خلاله السيطرة عليه مادام المخدّر في جسده ويضيع مفعول المخدّر من الجسم بعد ساعاتٍ قليلة، لذلك هي تلقي بالسمٍّ على وجوه ضحاياها كما يلقى العنكبوت بالخيوط ليمسك فريسته ويلتهمها يا صديقي، فنظريتك صحيحة.

عدّل يسري من مجلسه على الفراش وانتبهت حواسّه كلّها وهو يردّد بإهتمامٍ:

- وهل هناك سمٌّ يفعل ذلك حقًا؟ إنّها المرّة الاولى التي أسمع فيها عن هذا الكلام، ضحك بهاء ساخرًا:

- لأنّك لا تعرف شيئًا عن عالم الطبيعة. هناك تنين الكومودوا ويعيش في بعض جزر أندونيسيا ولديه سمٌّ في فكّه يعمل على تخثّر الدم وانخفاض ضغط الدم في الحال ويصيب الفرسية بنوعٍ من الشلل فلا تستطيع التحرُّك فيتناولها وهى حيّة، وهناك نوعٌ من المخدّرات موجودةٌ

في جنوب افريقيا وجزر الهايتي التي يحوّل فيها السحرة والمشعوذون الإنسان إلى زومبي، ويستطيعون إجباره على فعل ما يريدون، ولا يتذكّر ما فعل عندما يستفيق من غيبوبته، ولقد ذكرت وسجّلت حالاتٌ كثيرة لأشخاصٍ تحولوا لزومبي ولا يتذكّرون شيئًا عمّا كانوا يفعلون.

- لا أفهم شيئًا. في الحقيقة وما دخل ما تقول من غرائب وعجائب الكون من كومودا وزومبي في قضيتنا يا باشا؟

- زفر وهو ينفث دخان سيجارته مردّدا:

- الخلاصة من كلِّ هذا، لقد تمَّ القبض على سائق التوكتوك الأخير، وكان لا يتذكّر شيئًا هو الآخر ومصابٌ بالحمى وتمَّ تحليل عيّنةٍ من دمه وبعض الأنسجة، ووُجِدَت في دمائه جرعةٌ عاليةٌ من مادةٍ غريبةٍ وهي خليطٌ من ثلاث سموم، ويعتقد الأطبّاء بأنّ هذ هو تأثيرها مجتمعة بعد تعديله بالمعمل و...قاطعه يسري بتعجّبٍ:

- انتظر، تقول ثلاثة سموم وليس اثنان كما قلت منذ قليل سمّ الزومبي والكومودو.

- لأن الغريب أن النوع الثالث هو سمُّ الأرملة السوداء، وبعدها صمت. وشعر الصحفيُّ بالتوتّر الشديد والحيرة ممّا يسمع فمن المجنون الذي سيعدُّ سمًّا بتلك السميّة ليصنع سمًّا

لأغراض محدّدة ولا يقتل؟

- لا أفهم حقًّا. فمن يعدُّ سمًّا كهذا هو خبير سمومٍ وعالم وليس مجرمًا وقاتلًا أبدًا.

توقف بهاء عن الحديث لثواني كاد قلب يسري يتوقف من شدة الإنفعال وهو يردد:

- سأخبرك بمعلوماتٍ سريّة وليست للنشر ولكن لأخذ رأيك والتفكير معي بصوتٍ عالٍ حتى يتمَّ القبض على تلك السفاحة.

- أنت تعرف يا بهاء بأنّني لا أخون العهد منذ كنّا صغارًا.

- أعرف يا صديقي لذلك اتصلت بك، اكتشف أحد أطباء التحليل في المعمل الجنائيّ تركيبات السم،

وكان غريبًا عن المحيطين وكأنّه يعرف التركيبة جيّدا، وأخبرهم بأنّه قرأ منذ سنواتٍ بحثًا علميًا لأساتذةٍ في جامعة صيدلة القاهرة في مجلّةٍ طبيّةٍ بريطانيّة دوريّة، عن ذلك ولكنّها لم تذكر تفاصيل دقيقة ونسب المواد المضافة والتركيزات والمقادير كاملةً، ولكنّها قالت بأنّها أعدّت المخدّر وجرّبته على القرود ومتطوعين من البشر وأطلقت عليه «الأرملة السوداء».

- ردّد يسري بتعجّبٍ: الأرملة السوداء من جديد! هناك شيءٌ غريب، ولم لا تكون هي القاتلة؟

- لا أعتقد ذلك؟

- لماذا لا تكون هي؟

- لأنّها نزيلة مستشفى الأمراض العقليّة والعصبيّة بالعباسيّة يا صديقى منذ سنواتٍ عديدة؟

- هل فقدت عقلها؟

- للأسف نعم، منذ سنواتٍ بعد موت كلِّ أسرتها، أطفالها وزوجها في حادثٍ أمام عينيها ففقدت عقلها وأصبحت أرملة.

- أرملةً سوداء.

- أريدك أن تبحث حول تلك الطبيبة وتدعى «منال السيد الوزان»، وتعرف من الذي يستطيع أخذ أبحاثها العلميّة ومن الذي ورث منزلها أوراقها بعد موتها؟ فلقد توصلت الشرطة إلى أنّ المنزل مازال كما هو لم يدخله أحدٌ منذ سنوات، فأخوها مهاجرٌ ويعيش بأمريكا ووالداها متوفيان، قاطعه يسري من جديدٍ بتعجّب:

- بعد موتها! هل ماتت الأرملة؟

- نعم للأسف، فلقد ماتت منذ ثلاثة أشهر بمستشفى العباسية للأمراض النفسيّة والعقلية.

***

(٩)

حاولت القيام من فوق الأرض بصعوبة ولكنّها شعرت بأنّ أقدامها مشلولة، لا تستطيع التحرُّك، وهناك من يثبّت جسدها بالأرض، كانت الشقّةُ غارقةً في الظلام، وكانت هي خائفةً تشعرُ بالبرد الشديد والاختناق وتريد أن تستنشق هواءً نظيفًا ولكنّ رائحة نتنة انتشرت في المكان من حولها، وكأنّها رائحة جثثٍ متعفنّة، شعرت بتلك الأنفاس التي دوما تشعر بأنّها موجودةٌ معها بالشقّة وكأنّ أحدهم معها بالرغم من الوحدة التي تعيش بها.

ردّدت بصوتٍ خافت:

- من هناك؟

لم تسمع إجابةً وهنا انبعث ضوءٌ خافتٌ من غرفة جدّتها المظلمة، كان الضوء يخرج من أسفل الباب من تلك المسافة والفراغ ما بين الأرض والباب وكأنّ هناك من أضاء مصباح الغرفة.

فهل عاد شبح جدّتها من جديد؟ لقد سقطت فاقدة الوعي ولا تتذكّر ما حدث بعدها.

ولكنّها رأتها بعينها وهي تجلس على فراشها بثوبها الأسود، وهنا تساقطت دموعها وهي تشعر بضعفها وقلّةِ حيلتها،

وفي تلك اللحظة فُتِح الباب مرّةً واحدةً أمامها وكانت الجدّة الميّتة تجلس على فراشها، تنظر لها وتنادي عليها بأن تحضر لها كوبًا من الماء لأنّها لا تستطيع التحرُّك، كادت تموت رعبًا من المنظر، فقالت من بين دموعها:

- ماذا تريدين مني يا جدتي؟ اتركيني وارحلي بسلام. وهنا قامت الجدّة تركض وكأنّها تطير عن الأرض وهي تضحك ضحكةً عاليةً لتقف أمامها وهي تنظر لها بغضبٍ وبعيونٍ بيضاء تمامًا قد خلت من أيِّ سوادٍ، وتردّد بصوتٍ غاضبٍ أجشّ:

- أتريدين من جدتك الرحيل بعد كلِّ ما قدمته من أجلك يا قاتلة؟

« تيك تاك توك..لقد قتلتيها قتلتيها يا قاتلة..تيك تاك توك ستموتين ستموتين قريبا...تيك تاك توك فمثلك يستحقون الموت الموووووووووت..

صرخت بفزعٍ وهي ترى عيون جدّتها البيضاء وجسدها الطائر المرفوع عن الأرض عدّة سنتيمترات، لا تصدّق ما ترى أمامها فهذا الشيء ليس جدّتها أبدًا، ولكنّه شيءٌ آخر..أخذ كلُّ شيءٍ يتساقط أمامها بعنفٍ على الأرض، المصابيح أخذت تتساقط، التحف والنجف والصور المعلقة على الجدران.

كلُّ شيءٍ كان يسقط على الأرض مصدرًا دويًّا عاليًا وهي تصرخ وتصرخ بخوف، حتى الموائد والمقاعد أخذت تعلو وترتفع لتسقط مهشّمة فوق الأرض ألف قطعةٍ وقطعة، كلُّ شيءٍ كان يتحطّم أمامها صورة والديها تحطّمت على الأرض وتناثر الزجاج أمام عينيها، كانت خائفةً وقلبها يدقُّ بسرعةٍ شديدةٍ ويكاد يقفز من مكانه من شدّةِ التوتّر والفزع وما تراه أمامها من جنون..حاولت أن تتذكّر ما تحفظة من آيات الذكر الحكيم وقصار السور، حاولت وحاولت ولكن وكأنّ لسانها قد شلّ.

أغمضت عينيها حتى لا ترى ذلك المسخ، ولكنّ الجدّة اقتربت منها بسرعةٍ لتشعر ميّادة بأنفاسها الساخنة ورائحتها الكريهة وهي تردّد بصوتٍ خشن:

- ستموتين قريبًا.. تردّد صداها في أذنيها وبعدها ضحكاتٌ عالية وهنا لم تعد تتحمّل فصرخت ميّادة..لااااا اتركيني وشأني أنت لست جدّتي.. أنت شيطانٌ رجيم..أعوذ بالله من الشيطان الرجيم..أعوذ بالله من الشيطان الرجيم حاولت ترديد آيه الكرسي بصعوبةٍ شديدةٍ ولسان ثقيل..وكلماتٌ خرجت بصعوبةٍ شديدة ولكنّها أخذت تردّد ولا تتوقف وسمعت صوتًا يرنُّ في أذنيها عاليًا تن تن تن............

فتحت عينيها بصعوبةٍ بعد أن هدأت أوصالها وشعرت

بالأمان والراحة، ووجدت نفسها نائمةً على الأرض، يبدو أنّها سقطت فاقدةً الوعي ولم يشعر بها أحد وكان هاتفها يرنُّ، تساندت وملكت نفسها حتى أمسكت الهاتف وكان يسري خطيبها، فتحت السمّاعة وأخذت تبكي وهي تحكي له ما حدث معها من بين دموعها المنهمرة وهي ترتجف بخوفٍ شديد.

-تيك تاك توك..لقد قتلتيها قتلتيها يا قاتلة..تيك تاك توك ستموتين ستموتين قريبا...تيك تاك توك فمثلك يستحقون الموت الموووووووووت..

***

عادت نهلة مع ابنها من المستشفى وكان الصبيُّ بخيرٍ، وكانت أمّها تجلس في الصالة تقرأ في كتاب الله، وإذاعة القرآن الكريم في الراديو الذي بالمطبخ عالي والشيخ صديق المنشاوي رحمه الله يرتّل ما تيسر من كتاب الله بصوته البديع، ابتسمت الجدّة بسعادةٍ وهي تنظر لحفيدها مردّدةً:

- سلامتك يا حبيبي، شفاك الله وعافاك يارب العالمين.

- احتضن جدّته بسعادةٍ وقبّل يديها وهو يقول:

- بخيرٍ يا جدّتي لا تقلقي علي، كان صوته عاديًّا لا يبدو عليه أثر المرض إطلاقا، فنظرت الأمّ إلى زوجها لتفهم ما

الذي حدث وبما أخبرهم الطبيب، فأخبروها بأنّ طبيب الطوارىء أخبرهم بأنّه بخيرٍ وليس فيه أيُّ مرض، وربّما أكل شيئًا سميئًا أو ثقيلًا على معدته فقط وهو ما جعله يفرغ ما في جوفه، وحرارته طبيعيّة.

نظرت إلى ابنتها غير مصدّقةٍ ما يقولون، ولكنّ عيونها المطمئنة والراحة البادية على وجهها جعلتها تتأكّد من كلام زوجها، ولكن ماذا عن كل تلك السوائل الخضراء والسوداء التي أخرجها الصبيُّ من جوفه، هناك شيءٌ خاطىءٌ في الأمر وغريبٌ وغير منطقيٍّ.

دخل الصبي ليستريح في غرفته، فقالت الأمُّ مناديةً عليه:

- لا يا مازن فغرفتك غير نظيفة، ادخل ونَمْ في غرفتي، دخل غرفة أمّه واستأذن والدها وأخاها ورحلا لأنّ لديهما عملٌ في الصباح، وقرّرت الأمُّ أن تبيت مع ابنتها لتطمئنّ عليها وعلى حفيدها، وبعد أن نام الأطفال، وجلست هي وأمّها تتحدّثان بعد أن غسلتا ونظفتا السجّاد وبقع الترجيع فقالت الأمّ بحيرةٍ لابنتها، ما الذي يحدث مع مروان يا نهلة؟ لماذا لا ترقيه؟

- لا أعرف يا أمّي ودائما أرقيه بالرقية الشرعيّة ولكن لا أدري، أخبرني الطبيب بأنّه يحتاج طبيبًا نفسيًّا وهنا قاطعتها الأمُّ مردّدةً:

- ربّما لغياب والده، فلقد كان متعلّقًا به بشدّة، هزّت نهلة رأسها وهي تردّد:

- وهل والده سافر أمس يا أمي، فمحمّد في دبي منذ شهور ولقد اعتاد الأمر، ويتّصل به يوميًا ويتحدّث معه بالفيديو يوميًا صوتًا وصورة وكأنّه معنا وليس في قارّةٍ أخرى ويبعد عنا آلالاف الأميال، فبوجود وسائل التواصل الاجتماعيّ أصبح البعيدُ قريبًا يا أمّي.

- لا، مهما تقولين فلن يعوّضه غياب الأب ورائحته في المنزل وحضنه يا ابنتي، فالطفل يحتاج لحنان أبيه وعطفه وحضنه الذي يختبىء به من العالم كلّه وقسوته، لا تقولي بأنّ الدقائق التي يراه فيها عبر شاشةٍ ستعوّضه غيابه.

- ربّما يا أمّي، ولكن ماذا أفعل؟ وماذا يفعل هو؟ هل تتصورين بأنّه لم يستطع أن ينزل إجازةً لدفن جدّته بسبب لقمة العيش، الحياة قاسيةٌ يا أمّي وليس بها راحة.

- الراحة في الجنّة يا نهلة، اصبري وربنا معكم فمحمّد طيب ويستحق الصبر، وأحبّه كابنى ويشهد الله على كلامي، فلم أرَ منه يومًا شيئا سيّئًا لا منه ولا من جدّته ووالديه رحمهم الله جميعا، فكانوا جميعا أصحاب أصلٍ طيب.

- الحمد لله وأنا أيضا أحبّه، ولكنّني أحيانًا أشعر بالتعب

من مسؤولية الأطفال التي أتحمّلها بمفردي والمدارس والدروس.

- وهو يعمل من أجل أن تعيشوا حياةً كريمة، المهمُّ الآن هو مروان، سوف نأخذه غدًا لطبيبٍ نفسيٍّ كما قال الأطباء لنعرف ماذا أصابه وما الذي يحدث معه وسبب تلك الحمى... وهنا وقفت نهلة بعد أن تذكّرت شيئًا هامًّا، وقالت بتوتّر:

- الهاتف يا أمي، أكيد سجّل كلّ ما قاله مروان وهو نائم.

- أيُّ هاتفٍ يا نهلة؟ هل فقدت عقلك؟

- اصبري وستعرفين كلَّ شيء، وذهبت تبحث عن هاتفها الجوّال ووجدته وهنا قالت لأمّها:

- لقد أخبرني الطبيب بأنّه في وقت الحمّى يهذي الإنسان بما في عقله الباطن وما يريد فعله ولكن لا يستطيع البوح به في الحقيقة لأسبابٍ كثيرة، ولقد وضعت الهاتف على وضع التسجيل لأعرف ما الذي يحدث معه وما الذي يضايقه هل فهمتِ؟

وبعدها فتحت هاتفها وأشعلت الصوت الذي سجّله الهاتف لابنها وهو نائم وهنا صرخت نهلة بفزع واتّسعت عيونها حتى كادت تخرج من مقلتيها برعبٍ وهي لا تصدّق ما تسمع، وأخذت الأمُّ تتمتم في سرّها ونبضات قلبها تتسارع من

شدّة الانفعال والتوتّر، فما هذا الذي تسمعه! فشعرت بالقلق وانخفضت درجة حرارة الغرفة وشعرت بالخوف وأخذت تردّد ما تحفظه من القرآن الكريم.

***

فتحت ميّادة المحلَّ وكان الإرهاق باديًا على وجهها، وأثر عدم النوم ظاهرًا، كانت لا تستطيع فعل شيءٍ تقريبا ولكنّها لن تسطيع الجلوس في المنزل وشبح جدّتها يطاردها ويمنع عينيها من النوم، جلست تستريح على المقعد بإنهاكٍ وأغمضت عينيها بإرهاقٍ وأخذت تستمع للقرآن الكريم والدموع تتساقط من عينيها، وهنا يسري والقلق واضحٌ على ملامحه:

- كيف حالك اليوم يا حبيبتي؟

نظرت إليه ولم تستطع النهوض لتسلّم عليه، جلس على المقعد أمامها وأمسك كفّها برقّةٍ بين يديه وضغط عليه بقوّة ليطمئنها ويخبرها أنّه بجوارها ولن يتركها مهما حدث، فلا تخاف ولا تحزن ما دام هو موجودٌ في الحياة.

نظرت له بعيونها الغارقة بالدموع مردّدةً:

- أنا لست بخيرٍ أبدًا يا حبيبي.

- لا تقولي ذلك، ستصبحين بخيرٍ وسيكون كلُّ شيءٍ على ما يرام إن شاء الله قريبًا، سوف أتحدّث مع أخيك لنقدِّم موعد الفرح، ولن تكوني لوحدك من جديد، لم تردّ عليه بل أخذت تنظر له كثيرًا، فهل ما يقوله حقيقيّ؟ هل يحبّها ويخاف عليها أم يضحك على عقلها ويستغلُّ ضعفها؟ لم تردّ عليه بل صمتت.

- ردّد لماذا لا تردين يا ميّادة؟

- لأنّني أعرف بأنّك لا تحبني يا يسري، فمن يحبُّ لن يبتعد مهما حدث، وسيكون دومًا مع من يحبّ ولن يتخلى عنه، ولقد تخلّيت عني الأيام الماضية وانشغلت في أعز وقتٍ أحتاج إلى وقوفك بجانبي فهل تريدني أن أصدّق ما تقول؟

صُدِمَ يسري ممّا تقوله خطيبته ومن قسوتها معه رغم حبّه الشديد لها، هو لا ينكر بأنّه انشغل عنها قليلًا ولم يكن يتحدث معها بالساعات ليعرف تفاصيل يومها، ولكنّه كان يتّصل ليطمئنَّ عليها على الأقلّ دقائق، لم يبتعد كليًّا بل كان مشغولًا بالعمل ومع ذلك لم ينساها ولم يتوقف عن السؤال عن أخبارها وأحوالها وصحّتها كلَّ يوم، ردّد مشدوها:

- ماذا تقولين يا ميّادة؟

- الحقيقة يا يسري؟

- ولكنّني أخبرتك بأنّني كنت مشغولًا بالعمل والتحقيقات وقضايا القتل التي تحصد أرواح الأبرياء لكشف السفّاحة؟

- ليس لي دخلٌ بعملك يا يسري ولكن أتحدّث عن الجزء الذي يخصّني، مشاعرك، وأعتقد بأنّ هناك من هو أكثر أهميّةً منّي.. فيبدو أنّنا تسرّعنا ويجب أن نراجع علاقتنا.

- هل جننت يا ميّادة؟ كان سيجنُّ من كلامها وأسلوبها السخيف، لقد ترك كلَّ شيءٍ من أجلها ولم يستطع النوم، من أجل أن يطمئنَّ عليها، خرج دون أن يضع لقمةً في فمه وعقله مشغول عليها، كاد يعمل حادث سيرٍ بالسيارة بسبب السرعة الجنونيّة التي كان يقود بها من أجل أن يصل إليها ويفتح لها ويرفع الباب الحديدي الثقيل، ولكنّه لم يستطع، لقد أحضر لها كلّ الحلوى والشكولاتة التي تحبّها والطعام، وصرف كلّ ما في جيبه ولا يعرف كيف سيكمل لآخر الشهر من أجلها، ومن أجل أن يرى ابتسامتها، لقد استلف ثمن كاميرات المراقبة التي سيحضر الفنيّ بعد قليلٍ ليركّبها فقط من أجل الاطمئنان عليها وهو مشغولٌ في العمل، كلُّ هذا وتقول له هي بكلِّ بساطةٍ بأنّه لا يحبّها، وإن كان لا يحبّها فلمَ فعل ما فعل في رأيها؟

نظر لها بحزنٍ وتأثّرٍ شديدٍ مردّدا:

- لن أعاتبكِ على كلامك الآن، فأعرف ما تمرين به من

ضغطٍ عصبيٍّ هذه الفترة. لم تردّ، بل نظرت للخلف ولاذت بالصمت، قام هو من مكانه وهو يعطيها حقيبةً كبيرةً من البلاستيك مليئةٌ بالحلوى والأطعمة التي تحبّها وقال وهو يهمُّ بالرحيل:

- انتبهي لنفسك جيّدًا، وسوف يأتي مهندسٌ لتركيب كاميرات المراقبة بالمحلّ كما وعدتك، واتركيه يركبها ويريك كيف تعمل، وسيحضر معه شاشةً وكلّ شيء، لا تدفعي شيئًا فحسابه مدفوع، وهي هدية عيد ميلادك بعد غدٍ، كلُّ عامٍ وأنت بخير يا ميّادة. رحل مسرعًا بعد أن احمرَّ وجهه من شدّة الغضب.

التفتت هي وشعرت بسوء ما فعلت، فلماذا فعلت ذلك لا تدري؟

هزّت رأسها مردّدةً، سأتّصل به وأصالحه، فهو طيب القلب ويتصالح ويصفو مزاجه بسرعةٍ كالأطفال الصغار، مسكت الهاتف ولكن سمعت صوتًا يردّد من خلفها:

- السلام عليكم، الأنسه ميّادة؟

- نعم.

- رامز، لتركيب كاميرات المراقبة.

وكان مهندس كاميرات المراقبة وقد حضر، وأحضر عدّته وسُلَّمَهُ والكاميرات والشاشة وحتى الماوس لتحريك البيانات، لم ينسَ يسري شيئًا ولم يكلّفها قرشًا واحدًا، فشعرت بالذنب لما فعلت وما قالته له وكانت ستّتصل به بعد أن ينهي الرجل عمله ويركّب الثلاث كاميرات التي أحضرها معه.

***

جلست نهلة ترتجف بشدّة هي وأمّها أمام الشيخ الجليل الذي كان يرتدي عباءةً سوداء، ويضع الكثير من الحليِّ الملوّنة ويضع الكحل الأسود حول عينيه فزادها كبرًا وبروزًا، فأصبح شكله أكثر رعبًا بعمامته السوداء وشعره الطويل من خلفها، وحجمه الضخم. كان الرجل يبدو كمشعوذٍ وليس شيخًا أبدًا ولا جليل، كان يجلس على مقعدٍ من الاسفنج العالي يرتفع عن الأرض بقليل، ويضع أمامه مائدةً قصيرةً عليها مبخرةٌ كبيرةٌ يخرج منها بخار البخور الأبيض، ويمتلىء الجو بالبخور الخانق ورائحةٌ شديدة، ويضع جوارها ورقةً بيضاء وحبرًا أحمر من الزعفران، كانت الرائحة خانقةً بشدّةٍ جعلت الصبيّ يسعل بقوّةٍ وهو يردّد:

- أريد الرحيل من ذلك المكان كريه الرائحة يا أمّي.

- ردّت عليه، اهدأ يا مروان، سنرحل بعد قليلٍ يا حبيبي.

- لا، أريد الرحيل الآن، وأخذ يصيح.

نظر له الرجل بعيونٍ ثاقبةٍ جعلت الصبيَّ يرتجف من شدّة الخوف، ويتبوّل في ثيابه رغم عمره الذي أتمّ العاشرة، التصق بجسد أمّه بخوفٍ شديد، ومازالت نظرات الرجل تحيط به ولا تبتعد عنه، فقال الشيخ الجليل:

وأخذ يردّد ويتلو بعض الكلمات الغريبة:

اللهم بحق كهكهيج يغطشي بلطشغشويل امويل جلد مهجما هلمج ورودیه مهفیاج بعزتك الا ما اخدت سمعهم وأبصارهم سبحان من ليس كمثله شي وهو السميع البصير.

اقسمت عليكم يا خدام الاسم الاعظم بالله وعظمته والعرش ورفعته والكرسي وسعته وجبرائيل ووحيته وميكائيل وامنته واسرافيل ونفخته وعزرائيل وقبضته انكم لا تعصوا من دعاكم باسمائه بحق العهد واليتاق وبما عاهدكم به سيدنا سليمان ابن داوود عليه السلام عند باب الهيكل الكبير ببابل انكم توفو بعهد الله ادا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلت الله عليكم كفيلا وكان عهد الله مفعولا اين تكونوا ياتي بكم الله جميعا ان الله على كل شي قدير وانه لقسم لو تعلمون عظيم الوحاالوحا العجل العجل الساعةالساعة بارك الله فيكم وعليكم.

أخذ صوته يعلو وينخفض بصوتٍ غريبٍ ويتطاير الزبد من فمه والرذاذ على وجوههم، وكان الصبيُّ يدفن رأسه في ثياب أمّه برعبٍ وجسده يرتجف كورقةٍ وسط عاصفةٍ تحركّها الرياح بعنفٍ يمينًا ويسارًا وليس لها حولٌ ولا قوّة، وهو يردّد مكملًا بصوتٍ عالٍ:

« بسم الله الحي القيوم الرحمن الرحيم رب جبريل وميكائيل اه اه اه اه اهيا شراهيا هاهيا نماهيا ادوناي اصباؤت ال شداي شلعجص شليقوش طظكليوش مهلوشخ بهمش هميوش يشهيت شناهش مرططكليوش نافهلم نافغلا تاوت ما اعضم هدا الكلام ما أعظم سلطان الله احترق من عصى اسماء الله بالنار الموقدة اصعقوا بهم الرجيف والفزع الشديد والرع العضيم والعداب الاليم اجيبوا بحق الله الكبير ان كانت الا صيحة واحدة فادا هم جميع لدينا محضرون اجيبوا واسمعوا واطيعوا واسرعوا بحق ما اقسمت به عليكم وانه لقسم لو تعلمون عظيم الوحا ٢ العجل٢ الساعة٢ الان بارك الله فيكم وعليكم»

وكانت الجدّة تنظر لحفيدها بقلقٍ ورعبٍ وهي تستمع لكلمات الرجل الغريبة، تخشى أن يحدث له شيءٌ وتتذكر ما سمعته منه بالهاتف وما قاله وهو نائمٌ يهذي من الحمّى، عادت لتتذكّر كلماته، كان صوت شوشرةٍ كثيرةٍ في بداية

التسجيل وصفيرٍ عالٍ، وهمساتٌ كثيرة وكأنّ هناك من يتحدّث بخفوتٍ وبعدها صوت مروان وتبدو عليه المعاناة والألم وهو يردّد:

- لقد فعلت ما تريدين، فعلت ما تريدين، وضعته أسفل الفراش...فعلت كلّ شيء، ابتعدي عنّي، أنا خائف خائف.همساتٌ عالية وأصواتٌ متداخلة وكأنّ هناك من يتحدّث مع الصبي، وبعدها صرخ وظلَّ يصرخ مردّدا لم أفعل شيئًا، لقد تذوّقت الحلوى فقط، أنا آسف، لن أفعل ذلك من جديد سامحينى. كانت قطعةً صغيرةً فقط تذوقتها ولم تأكلها هي، فرمتها أمي. كانت قطعةً صغيرة...قطعةً صغيرة، وبعدها أخذ يصرخ ويردّد بطني تؤلمني، بطني تؤلمني، سامحيني لا أريد الموت، وبعدها صوته وهو يفرغ ما في جوفه بصوتٍ عالٍ، وبعدها صوتُ ضحكةٍ شيطانيّةٍ عالية وأخذ هو يصرخ ويفرغ ما في بطنه حتى استيقظ أخاه وصرخ برعبٍ عندما شاهد تلك الأشياء الخضراء التي يخرجها أخوه من فمه، وذهب إلى أمه.

تذكّرت الجدّة لحظات الرعب التي عاشتها مع ابنتها عند سماع التسجيل، وأصرّت الأمُّ أن تحضره للشيخ الجليل، فحفيدها لا يحتاج لطبيب، بل يحتاج لمعالجٍ روحانيٍ ليخبرهم ما الذي حدث معه ومن تلك التي تؤذيه وتسبّب له

المرض.

استفاقت من ذكرياتها على صوت صراخ مروان الذي يصرُّ على أن يرحل، ولكنّ الأمّ تحاول تهدئته بلا جدوى، فلقد أخذ الريم الأبيض يخرج من فمه وابيضّت عيناه تمامًا وأخذ جسده ينتفض بقوّةٍ ويهتزّ، وصرخت الأمّ ُبلوعةٍ مردّدةً «ولدي» وانتفض جسد الجدّة.

صرخ الشيخ في وجهيهما أن تلتزما الصمت أو تخرجا من الغرفة، وأخذ يكمل ويقرأ ما أمامه باهتمام ويرسم الدوائر والنجوم الحمراء وهو يردّد بعض الكمات وتتّسع عيونه بطريقةٍ مرعبةٍ وكأنّها ستخرج من مقلتيها، وضعت نهلة يدها على فمها حتى لا تصرخ ويصدر منها صوتٌ عالٍ.

انتفض الصبيُّ وأخذ يرتعد بقوَّة، وتغيّر صوته وأصبح صوتًا أنثويًّا خشنًا وأخذ يردّد:

- لقد أكل الحلوى الخطأ، هو المخطىء.

- صرخ الشيخ بصوتٍ جهوري: اتركيه يا أمّ الصبيان وإلّا أذيتك ولكنّ الصوت ارتفع وزمجر معلنًا عن رفض ما يقول:

- لقد أكل الحلوى الخطأ وهذا خطؤه، ضرب الشيخ يد الصبيّ بعصىً من الخيرزان فصرخ بصوتٍ أنثويٍّ حادٍّ: اتركني. أخذت نهلة تبكي على ابنها الصغير وهو يُضْرَبُ

أمامها وصوت العصا على جسده، ولكنّها كانت تعلم بأنّ ابنها فيه شيءٌ خاطىء وليس على ما يرام فحاولت التماسك. أخذ الصبيُّ يخرج بطريقةٍ غريبةٍ وصوتٍ أنثويٍّ خشنٍ يقول:

- لقد أكل الحلوى الخطأ وهذا خطؤه. كرّر الشيخ كلامه بقوّةٍ وهو يلقي البخور في المبخرة ويردّد:

- الوح الوح الساعة العجل العجل..اخرجي من جسده وإلّا أذيتك..وهنا أخذ الصبي يصرخ وبعدها أخذ يخرج ما في جوفه على الأرض وكان سائلًا لزجًا لونه أسود، ورائحته كريهة، وبعدها سقط الصبيُّ فاقدًا للوعي. وصرخت الأمّ بلوعةٍ:

- ولدي، هل هو بخير؟

- ردَّ الشيخ وهو يقترب من الفتى ويرشُّ عليه الماء المقري عليه ويضع البخور بالمبخرة:

- بخيرٍ لا تقلقي، لقد رحلت فهي لا تتحمّل رائحة المسك والعنبر.

- من هي يا شيخ.

- أمُّ الصبيان.

- ردّدت الأمُّ الجملة بتعجب:

- أم الصبيان! وضربت الجدّة على صدرها بقوّةٍ وهي تردّد بخوف: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم منك يا ملعونة فماذا تريدين من حفيدي وماذا فعل لك لتسكني جسده.

نظر لهم الشيخ وأكمل:

- لقد دخلت جسده بالخطأ، فلم تكن تقصده بالأذيّة.

- لا نفهم شيئًا يا شيخ.

- لقد كان السحر الأسود والعمل مصنوعان لشخصٍ آخر بالمنزل عندك، وكان دور الصبيّ هو وضع العمل في المكان الصحيح، فيدٌ بريئة لم ترتكب المعاصي هي من تضع السحر السفليّ ليكون مفعوله قويًا، ولكنّ الصبيّ أعجبته الحلوى فأكل جزءًا منها فانتقمت منه التابعة وعذّبته كما حدث مع ولدك وأمرضته بالحمى والهذيان وهي تسكن جسده الضعيف انتقامًا منه لما فعل، فالساحر كلّفها بمهمةٍ ولكن بسبب خطأ الصبيّ لم تكتمل، وأخذ يعذّبها وكلّما عذّبها عذبت ابنك وجعلته يتألم من المرض.

أخذت نهلة تنظر لابنها بخوفٍ ممتزجٍ بالرعب والقلق، فهل أكل ابنها سحرًا سفليًا وهل سيعيش، فقالت:

- وهل سيكون مروان بخير يا شيخ؟

- سيكون بخيرٍ لا تقلقي فلقد خرجت من جسده بعد أن سكنته لأيام وكانت تستمتع بعذابه وآلامه انتقامًا له على إفساد جزءٍ من السحر وإبطال مفعوله. سوف يلتزم بقراءة سورة الصافّات عشر مرات يوميًا والمعوذتين وآية الكرسيّ، وسورة البقرة لا تنقطع من المنزل، وسبع ورقاتٍ من نبات الصدر يغلى ويشرب على الريق لمدّةِ عشرة أيام، فالتابعة تكره نبات السدر.

ردّدت الأمّ بقلق:

- سحرٌ أسودٌ سفليّ؟ ومن يريد أذيّة ابنتى وتدمير حياتها؟ حسبي الله ونعم الوكيل في كلِّ مؤذٍ، أخبرني يا شيخ من تلك العقربة التي تريد أذيّة ابنتي؟

- السحر كان لفتاةٍ عزباء. لم ينطق بعدها بكلمةٍ واحدةٍ رغم إصرار الأمِّ على معرفة من يقصد، ولكن ليس هناك فتاةٌ عزباء تعيش في المنزل سوى ميّادة أخت زوجها، وتذكّرت ما الذي تعانيه في الفترة الأخيرة من أرقٍ وتهيؤات وكيف ذبلت وأصبحت كالهيكل العظمي وحالتها صعبةٌ بعد موت جدّتها.

فمن تلك التي تريد تعذيبها وتدمير حياتها يا ترى؟

أخبرتها أمّها أن تنتظر ولا تقول شيئًا لأخت زوجها حتى يتأكدوا من شفاء مروان، وبأنّه شفي تمامًا ويعرفون منه من

تلك التي طلبت منه وضع الحلوى والعمل لعمته ميّادة.

***

استفاق الصبيُّ وكان يشعر بأنّه أفضل، حمّمته أمّه وأعدّت له الطعام «أرنبٌ مسلوقٌ وخضار كما طلب الشيخ»، وتناول الفتى الطعام وكان يبدو طبيعيا، وذهب يلعب مع أخيه وأخته وعاد كما كان، وكانت نهلة تعلي صوت القرآن الكريم على سورة البقرة وتنظّف المنزل وبعدها ترشُّ الملح الخشن لمنع الأرواح الشريرة من الدخول كما أخبرتها أمّها، حاولت سؤال ابنها من الذي طلب منه وضع الحلوى لعمّته والورقة الصغيرة، ولكنّ الطفل لم يتذكر شيئًا وقال لها:

- لا أحد طلب فعل ذلك، ولم يتحدّث مع الغرباء كما تخبره دومًا ولا يأخذ من أحد شيئًا، لا ندرى وقفت حائرةً أمام إصراره الغريب، فهل نسي الطفل الموقف حقًّا؟

أم أنّه خائفٌ منها حتى لا تضربه لأنّه أخذ شيئًا من أحدٍ لا يعرفه؟

استأذنت من أمّها التي كانت تبخّر الشقة وتقرأ المعوذتين والإخلاص للتخلّص من العين والحسد بالشقّة، وقرّرت الذهاب لشقّة جدّةِ زوجها لرشِّ الملح الخشن بالأركان ولتشغيل القرآن الكريم بالمكان حتى يطرد أيَّ طاقةٍ سلبيّةٍ

بالشقّة.

حاولت فتح الباب ولكنّه كان معطّلًا وكأنّ هناك من وضع المفتاح بالداخل ليمنعها من الدخول، كانت حائرةً فهل شعر الشيء الشرير بما تريد فعله فمنعها من الدخول؟ وهنا تذكّرت كلمة الشيخ الجليل: التابعة وردّدت الاسم من تكون يا ترى؟

وهنا شعرت بصفير الريح في أذنيها وانخفضت درجة الحرارة مرّةً واحدة، وشعرت بأنفاس أحدهم خلفها، فشعرت بالتوتّر، فالتفتت مرّةً واحدةً لترى من هناك...

ولكنّها لم تجد سوى قطّةٍ سوداء تقف على أعلى الدرج وتنظر إليها، وتموء بطريقةٍ غريبة، استعاذت بالله من الشيطان الرجيم ، وهي تنظر لمخالب القطّ الذي أخرجها استعداد للهجوم، والانقضاض عليها، تراجعت بخوفٍ ومازالت عيونها عالقةً بعيونه الحمراء.

انفصلت الكهرباء عن المصابيح الكهربائيّة الموجودة بالسلّم وتفصل من تلقاء نفسها كلّ خمس دقائق، حاولت الاقتراب من القابس لتنير السلّم ولكنّها كانت خائفةً وهي تشعر بذلك المواء العالي من خلفها، لقد كان القطُّ أمامها فوق سور السلم فكيف مرَّ للخلف؟ لا تفهم.

حاولت قراءة ما تحفظه من آيات الذكر الحكيم من القرآن الكريم، ولكنّها نسيت كلّ شيء، ففي المواقف المرعبة ينسى المرء ما يحفظه.

ردّدت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقدماها ثابتتان في مكانها وكأنّ هناك من ربطها بالأرض، رأت عينين تتوهجان كالنار باللّون الأحمر أمامها، شعرت بالبرودة الشديدة في أطرافها. همساتٌ متداخلة أخذت تتعالى من حولها. زمجرةٌ وصوت طقطقةٍ عالية وكأنّها نيرانٌ تشتعل، صوتُ زيتٍ مغليٍّ يفور على النار ممتزجٍ بصوت الرياح العالية وصفيرها، كانت تشعر بأنّها في الجحيم، النيران الساخنة تحرق وجهها ورقبتها والبرودة والصقيع تجمّد أطرافها.

صرخت في النهاية وحاولت الركض في اللحظة التي أضاء فيها أحدهم مصباح السلّم، ورأت ذلك الشيء الأسود يركض مسرعًا ليدخل من أسفل باب شقّة الجدّة وهو يصرخ بصوت عالٍ مصدرًا زمجرة.

لم تتحمّل كلّ ذلك، أخذت تركض على السلّم بسرعةٍ حتى وصلت لشقّتها ووجهها أصفر كالليمون وعيونها زائغة، وتلهث من شدّة التوتّر وضربات قلبها تتسارع حتى كادت تقفز من داخل صدرها.

نظرت الأمُّ لابنتها بلوعةٍ مردّدةً:

- ماذا حدث يا نهلة؟

همست بصوتٍ خافتٍ وهي تغلق باب الشقّة خلفها وترتجف بشدّة، إنّها هي..

- التابعة...

***

وقفت ميّادة تنظر للكاميرات بعد أن انتهى الرجل من تركيبها، وكانت الشاشة مقسّمةً أمامها إلى أربع مستطيلات وكلٌّ مستطيل بكاميرا مستقلّة لثلاث مستطيلات، والرابع أسود كانت ترى المارّة في الشاشة التي أمامها وهي تعبر الطريق وتمرُّ بالكاميرا الخارجية المعلّقة خارج المحلّ، وكاميرتان داخليتان كانت ترى بهما ما يحدث داخل المحلّ، كاميرا أماميّة في مقدّمة الباب ترى الذي يدخل ويخرج وأخرى بزاويةٍ لترى باقي المحل والبضاعة من زاويةٍ أخرى، لقد ركّب الفنيُّ الكاميرات بطريقةٍ فنيّة وتستطيع مراقبة كلِّ شيءٍ وهي جالسةٌ أمام الشاشة.

ابتسمت بإرتياحٍ شديد وهمست لنفسها، سأتّصل أعتذر ليسري على ما فعلت وما قلت فما الذي فعلته هذا.

اتصلت بخطيبها، الذي فتح الهاتف من أوّل رنّةٍ لها، قالت

بخجلٍ شديد:

- هل مازلت «زعلان» مني؟

- وهل ترين الموضوع هيّن يا ميّادة؟

- ولكنّك تعرف بأنّني مرهقة ومتعبة هذه الفترة يا يسري.

- ولكن هذا ليس مبرّرًا لما قلتيه.

- هل ستظلُّ غاضبًا حبيبي؟ صمت وابتسم رغمًا عنه فهو يحبها بحقّ ولا يستطيع مقاومتها مهما فعلت، فهو يعتبرها ابنته الصغيرة المدلّلة فقال:

- لا، وأنتِ تعرفين بأنّني لا أستطيع يا أميرتي الجميلة. ابتسمت بإرتياحٍ فلقد عرفت بأنّه لم يعد غاضبًا منها مادام ناداها بالأميرة. قالت:

- أشكرك على كاميرات المراقبة يا حبيبي، «ربّنا يخليك ليَّ يارب وما يحرمني منك أبدًا».

- كلّ عامٍ وأميرتي الجميلة بخيرٍ وصحةٍ وعافية، والعام القادم سنكون في منزلنا لنحتفل بعيد مولدك معًا، ابتسمت بخجلٍ وهي تردّد:

- هل ستظلُّ تحبني؟

- إلى الأبد حبيبتي؟ كانت تنظر لشاشة الكاميرات أمامها وترى الناس المارّة وهنا اهتزّت الشاشة وأصدرت خطوطًا كثيرة لثانية فقالت بتعجب:

- ما هذا!!

- سألها بقلقٍ هل هناك شيء؟

- شيءٌ غريب، ولم تكمل جملتها فلقد سمعها تقول: مرحبًا يا رواية، كيف حالك سميّة؟ وبعدها شهقت مردّدةً لقد انفصلت الكهرباء من جديد، أكملت: يسري، أعتذر منك فعندي زبائنٌ بالمحل وأغلقت الهاتف دون أن تنتظر ردّه عليها.

زفر بضيقٍ وهو يردّد:

- لن تتغيري يا ميّادة أبدًا في طريقتك الجافّة وتتعلمي كيف تتعاملين مع زوجك المستقبليّ، هنا رنّ هاتفه وكان رئيس تحرير الجريدة التي يعمل بها، فنفض كلَّ الأفكار السلبيّة من عقله وفتح الهاتف ليعرف ما الذي يريده الرجل منه.

وبعد الانتهاء من المكالمة وكان يتحدّث معه عن التحقيقات والتقارير عن آخر الجرائم التي حدثت في منطقة عين شمس، وبعد الانتهاء وجد إشعارًا من رسائل الواتس اب

وكان من خطيبته:

وكانت تخبره بأنّها ذاهبةٌ مع التوأم راوية وسميّة للاحتفال بعيد مولدهما فلقد دعتها السيّدتان ولقد شعرت بالإحراج من الرفض بعد آخر موقفٍ وتصرفها غير اللائق، كما أنّ الأختين ليس لديهما أحدٌ فهما وحيدتان كما أخبرتك وتريدان الاحتفال بيوم مولدهما رغم أنّه بعد غدٍ ولكنّهما ستقيمان حفلةً صغيرةً اليوم، سأذهب معهما «وأغيّر جو» قليلًا وأستمتع، وأنهت رسالتها بأنّها لن تتأخر وستعود بعد ساعة، وأخبرته بأنّها لم تتّصل حتى لا يرفض ويحرجها أمام التوأم وتحدث مشكلةٌ بينهما».

تعجّب يسري من الرسالة لأنّ ميّادة من كلامها عن الأختين التوأم فهي لا تحبهما وتخاف منهما لتصرفاتهما الغريبة، فما الذي يدفعها لتلبية دعوتهما لحفلة عيد مولدهما؟ وتعجّب من الحفلة التي تقام ظهرًا وفي عزِّ النهار، فردّد بحيرة:

- شيءٌ غريبٌ جدًّا حقًّا فمنذ متى تقام الحفلات نهارًا، وأكمل بغيظ:

- وشيءٌ مؤكّد أنّني كنت سأرفض ذهابها مع أحدٍ لا تعرفه ولكنّها غبيّةٌ وعنيدة، تتصرّف من دماغها، سنتحدّث عندما تعود في الأمر، فلقد تحمّلها كثيرًا ويبدو أنّها تستغل حبّه لها.

بعدها ذهب لينهي تقاريره وما أمره به مديره، وبعدها سيذهب للتحري عن تلك الأستاذة الجامعيّة ويجمع معلوماتٍ عنها كما طلب منه بهاء، وسيتجمّعان بعد المغرب في مكتبه ليتناقشا في آخر ما توصلوا له من معلوماتٍ حول «الأرملة السوداء» فرجال الشرطة يعتبرونه واحدًا منهم، ولكنّ عقله ظلَّ مشغولًا بخطيبته وتلك الحفلة التي ذهبت إليها دون أن تستأذنه.

***

التابعة هي جنيّة تتبع الإنسان وفي الحديث، أوّل خبرٍ قدم المدينة يعني من هجرة النبيِّ صلى الله عليه وسلّم امرأةٌ كان لها تابعٌ من الجنِّ، التابع هنا جنّيٌّ يتبع المرأة يحبها والتابعة جنيّةٌ تتبع الرجل تحبه وقولهم معه تابعه أي من الجنّ.

وتسمّى التابعة بأمِّ الصبيان وأمّا المعنى الآخر لها عند السحرة فقد يختلف قليلًا عن المعنى السابق، وقد كتب السحرة في كتبهم الشيطانيّة وعن السحر الأسود أبوابًا للتعريف بهذا النوع من الجنّ، وتحدّثوا في هذا الموضوع كثيراً، منها الكثير من الخرافات و الأكاذيب على نبيٍّ الله سليمان بن داوود عليه السلام، وقالوا:

- بأنّ التابعة عجوزٌ شمطاء تهدم الدور والقصور وتقلّل

الرزق بالليل والنهار وتخلّف الربا والأشرار، فما أن علم بها سليمان حتى أمر بجرِّها بالسلاسل والأغلال وعذّبها عذابًا شديدًا.

وعندما طلبت تخفيف العذاب قال لها: كيف نخفّف عنك العذاب والشرُّ كلّه منك أنت، فقالت: يا نبيَّ الله: أنا التابعة التي أخلي الديار وأنا معمرة الهناشير والقبور وأنا التي منّي كلُّ داءٍ ومضرّة، نومي على الصغير فيكون كأن لم يكن وأكتم نفسه فيموت مخنوقًا في فراشه وأذهب للكبير فأسكن جسده الفاني فأصيبه بالكثير من الأوجاع والأمراض والعلل والبلاء العظيم والفقر، وأسلّط عليه ما لا يقدر عليه ولا يستطيع، ونومي على المرأة عند الحيض أو عند الولادة فتعقر ولا يعمر حجرها وتبقى عقيمًا مدى الدهر، ونومي على التاجر في تجارته بعد الفرح بالربح فيها، فيخيب ويخسر، وأخذت تعدّد ألوانًا وأصنافًا من العذاب والبلاء التي تمتحن بها عباد الله، وقد أعطته العهود والمواثيق، العهود السليمانيّة السبعة، وأنّ من علّقها فإنّها لا تقربه في نفسه أو أهله أو ماله. كتب السحرة عن تلك العهود السليمانيّة السبعة وكيف يمكنها أن تتخلص من شرِّ التابعة وأذاها.

كانت نهلة تقرأ ما كُتِبَ عن التابعة من معلومات، تريد أن تعرف من هي وما الذي تريده من أخت زوجها ولمَ تطاردها

وكانت ستقتل ابنها مروان من المرض والأوجاع، ولكنّها لم تفهم شيئًا سوى أنّ التابعة من الجنّ، ويسلّطها السحرة والمشعوذون على من يريدون أذيّته وإصابته بالأذى، ولكن هناك بعض الأشياء التي يجب توافرها لتكمل التابعة عملها في الأذيّة، وهناك بعض الأشخاص يرونها دون أن يراها غيرهم ويتحدّثون معها على أنّها من البشر فتظهر بالصورة التي تريد لهم رؤيتها بها، ووقتها تكون تريد الانتقام منهم وأذيتهم شرَّ أذيّةٍ فلا تكتفي التابعة بتعذيبهم وإصابتهم بالمرض.

قرأت نهلة برعبٍ وهي ترتجف بشدّة فما الذي تريده التابعة من ميّادة، ومن الذي يريد أذيّتها؟ فتحول شكّها لزوجة خالها «سماح» فهي تكرهها منذ زمنٍ وتغار منها بشدّة، ولكن هل الغيرة تجعل الإنسان يؤذي بتلك الطريقة البشعة؟ كيف أصبحت القلوب سوداء لتلك الدرجة وإنعدم الضمير، فالفتاة شابّةٌ مقبلةٌ على الزواج والحياة أمامها فلمَ تريد سماح تدمير حياتها وموتها ولماذا تكرهها أصلًا، لا تفهم، ربّما من أجل الورث، ولكن إن كان من أجل الورث فسوف تريد التخلّص أيضًا من زوجها محمّد، وتساءلت ولماذا لا تكون هي أيضًا سبب مشكلته في العمل والتسبّب في فصله وضياع مستقبله بسبب السحر الأسود والأعمال الشيطانيّة التي تقوم بها سرًا في القبور، لولا ستر الله ووقوفه معنا فهو

أعلم بحالنا.

كانت كلُّ تلك الأفكار السوداء تطارد عقلها المنهك من التفكير، وهنا قاطعتها أمّها وهى تردّد:

- سماح بالخارج وتريد الإطمئنان على مروان، هيا اتركي هذا الهاتف وتعالي لرؤيتها يا ابنتي، نظرت إلى أمّها بعيونٍ مذعورةٍ خائفة وهي تردّد وجسدها يرتجف:

- سماااااااااااااح

***

(١٠)

أخذ يسري يبحث عن معلوماتٍ حول الأستاذة الجامعية «منال الوزان»، بلا جدوى فلقد دخلت مستشفى الأمراض العقليّة والنفسيّة بالعباسيّة بعد موت كلّ أسرتها في حادث سير، ويبدو أنَّ الحادث كان مدبّرًا، انتقامًا منها ربّما لرفضها الإفصاح أو بيع السمِّ الذي أعدّته، من يدري؟

لم يكن لها أقارب ولا معارف، سوى أخٍ وحيدٍ ويعيش في أمريكا منذ سنوات، ليس لديها أقارب ولم يدخل منزلها الكبير أحدٌ بعد موتها، فلم تكن المعلومات كافيةً أو مفيدة، كان يشعر باليأس والإحباط وكان مشغول الفكر بخطيبته التي كان هاتفها مغلقًا طوال اليوم، وبدأ يشعر بالقلق عليها فليس من عادتها إغلاق الهاتف كلّ تلك الفترة، فردّد:

- ربّما تأخرت في حفل عيد الميلاد وفصل الشاحن، ربّما خافت من غضبه فأغلقت الهاتف ربّما، أخذ يبرّر لها ولكنّ قلبه لم يطاوعه فذهب إلى محلّها وكان مغلقًا، فردّد:

- ربّما عادت للمنزل ونامت من التعب، كان قلبه غير مستريحٍ لما يحدث، فتلك المرّة الاولى التي تفعل ذلك معه وتتجاهله منذ سنوات تعارفهما وبعد خطبتهما، فبالرغم من المشاكل، والخلافات ولكنّها كانت تحترمه وتقدّره وتردّ عليه

ولا تتجاهل اتصاله بتلك الطريقة.

كانت الساعة التاسعة مساءً، وكانت رسالتها الثانية ظهرًا، سبعُ ساعاتٍ كاملة لا يعرف أين هي؟

كان يريد الذهاب لمنزلها للاطمئنان عليها ولكن لا، لا يصحُّ، فلم تعد جدّتها بالمنزل، وخالها لا يعود إلّا عند منتصف الليل من العمل.

مرّت الساعات وعند منتصف الليل رنَّ هاتفه وهبَّ مذعورًا معتقدًا بأنّها هي، ولكنّها كانت نهلة زوجة صديقه محمّد، وكانت تسأل عن ميّادة؟

وهنا صدم يسرى من سؤالها، فلم تعد ميّادة المنزل بعد. واعتقدت نهلة أنّ ميّادة معه ويسهران في مكان، وردّ يسري بقلق:

- بأنّه مشغول منذ الصباح عليها فهاتفها مغلقٌ ولا تردُّ ولقد أخبرته بأنّها ذاهبةٌ لحفلة عيد ميلاد، اندهشت نهلة بشدّة من كلامه وهتفت بلوعةٍ:

- ولكنّ ميّادة لا تحب حفلات أعياد الميلاد ولا التجمعات فكيف ذهبت؟

- لا أعرف يا نهلة فهذا ما حدث ولم تخبرني هاتفيًّا وكنت

سأرفض، بل أرسلت رسالةً على الواتس لتضعني أمام الأمر الواقع.

- هتفت نهلة من بين دموعها ابحث عنها بالله عليك يا يسري فهي تحبّك وليس لها أحدٌ غيرك، وأخوها ليس هنا بل في بلدٍ أخر، فقلبي ليس مستريحًا أبدا.

- سأتصرّف يا نهلة، إن شاء الله سيكون كلُّ شيءٍ بخير. أغلق الهاتف واتّصل بخالها ليخبره بما حدث، وشعر الخال بالقلق الشديد والخوف على ابنة أخيه فهي المرّة الاولى التي تتغيّب عن المنزل لذلك الوقت، والساعة تجاوزت منتصف الليل، أخبره يسري بأنّه في الطريق إليهم.

***

ذهب يسري إلى منزل خطيبته ومعه بهاء رئيس المباحث صديقه فلقد أخبره بالأمر، وأصرَّ على الذهاب معه فميّادة أخت محمّد وجارتهم القديمة ويعرف أهلها جميعًا، غير أنّها حبّه الأول والأخير الذي يحتفظ به في صندوقٍ مغلق في قلبه ومفتاحه معها هي فقط وحدها، فهي الوحيدة التي تعرف سرّه ولكنّها رفضته ولم تخبر أحدًا بالأمر كما وعدته منذ سنوات. كان القلق باديًا على وجهه وعقله سيجنُّ خوفًا عليها و جلسوا جميعًا في الصالة وكانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ومازال هاتف ميّادة مغلقًا، ولا يعرفون عنها

أيّ شيء، كانت نهلة تبكي وتدعو الله ألّا يحدث شيءٌ سيِّئٌ لميّادة، حتى زوجة خالها كانت تبكي هي الأخرى خوفًا على الفتاة، نظرت لها نهلة بغيظٍ وهي تريد الذهاب إليها وضربها وتخبرها بأنّها السبب فيما يحدث للفتاة وهي من سحرتها وحولت حياتها إلى جحيم، ولكنّ أمّها أمسكتها من معصمها وأدخلتها الغرفة وهي تردّد بغضب:

- هل جننتِ؟ هل تريدين خراب بيتك يا غبيّة؟ إياكِ أن تفتحي فمك بكلمةٍ واحدة.

- ألا ترين كيف تدّعي الخوف على ميّادة وهي السبب فيما يحدث يا أمّي؟

- اخرسي ولا ترفعي صوتك فربّما لم تكن هي وستخربين بيتك بكلامك هذا، فذلك الكلام ليس هيّنًا أبدًا يا ابنتي ولن يمرَّ مرور الكرام.

وهنا فتح الباب ودخلت هي وهي تنظر لهما بقلقٍ حقيقي مردّدةً:

- هل هناك شيء يا نهلة؟ نظرت لها نهلة بغيظٍ ولم تردّ عليها بل خرجت من الغرفة بسرعة، وهنا قالت الأمُّ بقلقٍ وهي تنظر لسماح:

- لا يا ابنتي، ولكنّها قلقةٌ بخصوص ميّادة فهي صديقتها

قبل أن تكون أخت زوجها.

هزّت رأسها بتعجّبٍ وردّدت بخفوتٍ:

- أعرف، وبعدها غادرت الغرفة وخرجت مسرعة.

***

خرج الجميع للبحث عنها في الشوارع، ولكن لم يكن هناك أحدٌ لسؤاله عنها فالشوارع كلّها خاليةٌ من المارّة والمحلات التي بجوارها كانت مغلقة، فمن سيسألون الحجارة أم الحصى، كان الجميع سيجنّ، اتصل بهاء بشركة المحمول لتحديد موقع الهاتف، ولكنّه كان مغلق ولم يفِدْهم بشيء، عرف آخر مكالماتها وكانت لخطيبها يسري، لم ترسل أيّ رسائل إلكترونيّة بالهاتف سوى رسالتها الأخيرة لخطيبها وبعدها أغلق الهاتف، تمّ البحث في جميع المستشيفات عن حوادث فتيات بنفس مواصفاتها، لم يجدوا شيئًا، جاءهم خبرٌ بوجود جثّةٍ مجهولةِ الهويّة في مشرحة زينهم وكادت قلوبهم تتوقّف من شدّة الفزع، وذهبوا إلى هناك وقلوبهم تكاد تخرج من بين ضلوعهم من شدّة التوتّر والخوف، بحثوا بين الجثث وثلاجات الموتى ولكنّها لم تكن هي.

مع كلِّ ذلك السواد وفقدان الأمل في العثور على أيٍّ أثرٍ لميّادة تذكّر يسري كاميرات المراقبة الجديدة، فربّما سجّلت

شيئًا، ربّما صورةً للتوأم وإذا تمَّ نشرها على مواقع التواصل الإجتماعي يتعرّف أحدهم على صورتهما وقتها ويتمُّ إنقاذ خطيبته أو معرفة مكانها.

كانت ميّادة تترك مفتاحًا احتياطيًا في غرفتها وأخبرت نهلة عن مكانه، حتى لا تنسى، أحضرت لهم نهلة المفاتيح وهي تتمنى أن يعثروا عليها ولا يصيبها أيُّ مكروه.

***

تجمّع يسري وبهاء وخال ميّادة في المحلّ أمام الكاميرات لرؤية ما الذي حدث وماذا سجّلت الكاميرات قبل أن ترحل، والغريب بأنّ حقيبتها مازالت بالمكان على مقعدها و «شنطة» الحلوى التي أحضرها لها يسري مازالت موجودةً فوق المكتب وشاشة الكاميرا تعمل، وكانت الساعة الثامنة صباحًا، اتّصل يسري بمهندس الكاميرات التي ركّبها ليعرف الباسورد وكلمة المرور لرؤية التسجيل، واستيقظ الرجل بفزعٍ وصُدِمَ عندما عرف باختفاء ميّادة فلقد كان هو آخر من شاهدها قبل التوأمتين.

فتح بهاء بقلقٍ وقام باسترجاع الوقت، ولكنّه لاحظ أشياء لامعة تطير بالمحلِّ ليلًا. نظر بتعجُّبٍ ولكنّه تجاهل ما يرى و ضغط على الوقت الذي أرسلت فيه الرسالة وكان قريبًا من وقت بدء الكاميرات بالتسجيل وهو الواحدة والربع.

كانت ميّادة تقف في المحلّ تنظر للكاميرات بإعجابٍ شديد بعد رحيل الفنيّ، وبعدها اتّصلت بالهاتف وكانت تتحدّث وهي جالسةٌ على مقعدها تنظر للشاشة أمامها وبعدها التفتت للباب مرّةً واحدة ودخلت سيّدةٌ ووقفت تصافحها وتتحدّث معها والتفتت ميّادة للفراغ جوارها ومدّت يدها وكأنّها تتحدّث وتصافح شخصًا آخر ولكنّ الكاميرات لا تظهر أحدًا في أيّ زاويةٍ وكان الأمر غريبًا ومرعبًا.

نظر يسري بتوتّرٍ وهو يردّد:

- ما هذا؟ لقد قالت ميّادة حضرت التوأمتان وسمعت صوتها وهي تسلّم عليهما مرحّبةً وتنادي بإسمائهما مردّدةً: «راوية وسميّة»، فكيف لا تُظهِر الكاميرا سوى واحدةً منهما فقط، هناك شيءٌ خاطىء في الأمر.

أعاد بهاء مقطع الفيديو مرارًا وتكرارًا وكبّر وجه ميّادة وكانت ترحّب حقًّا وتصافح المرأة بيديها، وبعدها مدّت يدها وصافحت الهواء في الجهة الأخرى، وكأنّها تصافح أحدًا آخر بحرارة، موجود وتراه بعينيها ويقف أمامها ولكنّهم لا يرونه لسببٍ ما. فهل كانت المرأة الأخرى ليس لها وجود وعبارةٌ عن شبح؟ لا يفهمون شيئًا، هناك شيءٌ خاطىءٌ بالأمر؟

وقف يسري يفكّر وهو يلّف المحل ذهابًا وإيابًا ويشعر

بأنّ تفكيره سيتوقّف من الصدمة، ويتذكّر كلام ميّادة عن التوأمتين وكيف لا تشعر بالراحة في وجودهم، نظراتهما الغريبة، ثيابهما الرخيصة وهيئتهما المرعبة، كانت تخاف منهما أحيانًا وتشعر بشعورٍ غريبٍ في وجودهما. فواحدةٌ تتحدّث والأخرى تسكت وتستمع فقط لما تقول، لا تتحدّث إلّا عندما تأمرها الأخرى. القرآن كان يتوقف وباستمرار عند دخولهما المحلّ، كانت تردّد دوما على مسامعه هناك شيءٌ خاطىءٌ بتلك المرأتين، ولكنّه كان يكرّر لها بأنّ الأمر شيءٌ طبيعي بين التوائم عمومًا ولا تتدخل فيما لا يعنيها، لمَ لمْ يحذّرها منهم؟ لماذا لم يستمع لكلِّ ما تقوله بأذن محقق جرائمٍ وصحفيّ، لماذا ذهبت معهم؟

وهنا أخذ بهاء يكبّر أضعافًا يد ميّادة والمرأة وهما تتصافحان بحرارة وثبّت جزءًا من اليد وهو يزفر برعبٍ ويقول ليسري بصوت مختنق:

- انظر يا يسري ماذا أرى هنا؟

شهق يسري بفزعٍ عند رؤية يد المرأة وصرخ بدهشة وهو يجلس بعنفٍ على المقعد:

- الأرملة السوداء....

***

استطاعت الشرطة أخذ صورةً واضحةً لحدى التوأم وكبّرتها وأوضحتها وملأت صفحات مواقع التواصل الاجتماعيِّ وضرورة الإدلاء بأيٍّ معلومةٍ عن المرأة، وصور عديدة لميّادة وتحتها خرجت ولم تعد. آخر من خرجت معهم ونشروا صورة التوأم. منشوراتٌ عديدة ومشاركات بالآلاف وحثُّ المواطنين على التحدّث بأيّ معلومةٍ تفيد في القبض على السفّاحة، ولكن بلا جدوى.

كان رجال الشرطة يواصلون البحث وسؤال المحلات جوار محلِّ ميّادة، بلا فائدة فلم يرها أحد، ومن رآها قال بأنّها ركبت مع سيّدةٍ توكتوك، ولا يعرف إلى أين ذهبت؟

كان يسري سيفقد عقله وهو يحاول التوصُّل لأيٍّ خيطٍ ولكن لقد اختفت خطيبته تمامًا وليس لها أثر، وكان بهاء حالته أصعب فهو عاشقٌ قلقٌ سيموت قهرًا ولا يريد أن يشعر أحدٌ بما في قلبه وحزنه على معشوقته، صداعٌ شديدٌ وقلقٌ عارمٌ وخوف، كان يبحث كالمجنون ويصرخ في رجاله حتى يسرعوا ويبحثوا، لكن بلا فائدة، حتى خبير الكاميرات في الطبِّ الشرعيِّ، أكّد بأنّها كانت امرأةً واحدة بالصورة ولكن عند تكبير صورة يد ميّادة وهي تصافح الهواء ومع إدخالها في بعض البرامج صرخ بدهشة:

- لقد كانت تصافح شيئًا حقًّا وهناك هيكل لما يشبه الإنسان

لا تظهره الأشعة تحت الحمراء، ولكنَّ الأشعة فوق البنفسجية أظهرته.

- التفت بهاء بحدّةٍ وهو يردّد:

- ماذا تقول؟

- ما أقصدة يا بهاء باشا بأنّ الفتاة كانت تصافح شيئًا من عالمٍ آخر ليس له وجود في عالمنا الماديّ، ربّما كان شبحًا.

- شبح! ردّد بهاء الكلمة بدهشة.

- كرّر المهندس كلمته وهو يقول :

- نعم شبح، هذا هو التفسير المنطقيُّ الوحيد.

- ولكنَّ الأشباح ليست أشياء ماديّة حتى تصافح الأشخاص فما تقوله هراء.

- وضع الرجل من وضع منظاره مردّدًا:

- يبدو أنّك لا تقرأ كثيرًا في عالم ما وراء الطبيعة يا بهاء باشا، فالجنُّ مخلوقاتٌ نورانيّة شفّافه لا نستطيع رؤيتها حتى لا تحترق أعيننا، ولكنّهم يستطيعون الدخول إلى الأجساد وسكنها، كما يمكنهم التحوّل إلى حشراتٍ وأفاعٍ وعناكب سوداء وقطط وكلاب، ومنهم يمكنه التحوُّل إلى إنسانٍ جعل جسده يشبه البشر حتى يستطيع الظهور لمن

يريد ومحادثتهم... كان بهاء يستمع لتفسير الرجل ولا يصدق ما يقول، ولكنّه يهزُّ رأسه ليكمل.

- فأكمل مردّدًا وفي ظني هنا لقد كانت الفتاة ترى عفريتًا من الجنِّ وكان يتمثّل في صورة تلك الفتاة التي تأتي مع أختها التوأم وتتحدّث معها، وكانت هي الوحيدة القادرة على رؤيتها هي وتوأمتها، فغالبًا ستكون تابعةً من الجنِّ للتوأم، والتوأم الآخر يعرف بوجودها جيّدًا، وتريدان شيئًا من الضحية، ولكن لا أدري ما هو.

فكّر قليلًا وهو يرى الفيديو مراتٍ عديدة، لقد كانت خطيبته تصافح ما يشبه الضوء الأبيض في صورة هيكل إنسان، فقال بصوتٍ عالٍ:

- وفي اعتقادك ما الذي تريده الجنيّة من ميّادة؟

- لا ادرى، ربّما أحبتها وربّما كرهتها فتودُّ الانتقام منها لأنّها أذتهما مثلًا في يوم. لا أعرف، ولكن كلّها تخميناتٌ وافتراضاتٌ وهميّة، ربّما كانت خطأً وليست صحيحة، ولكنّني أحب التدقيق في الفيديوهات الغريبة بحكم عملي بالطبِّ الشرعيّ ورأيت الكثير من الغرائب وقرأت عنها. ما أجزم به بأنّ هناك شيئًا خارقًا للطبيعة في تلك القصة. هزّ رأسه ولم يردّ هو يشعر بأنّ هناك شيئًا خاطئًا في الأمر.

رنّ الهاتف الذي أمامه وكان مساعده يخبره بأنّ هناك رجلًا يدّعي بأنّه يعرف القاتلة المنشورة صورها، قفز من مكانه سريعا واقفًا وهو يردّد سأكون عندك خلال دقائق لا تجعله يتحرك مهما حدث هل تفهم؟

***

وجد بهاء يسري أمامه وهو خارجٌ من باب مكتبه في الإدارة، وكانت هيئته مزرية وحالته صعبة جدًا، يبدو عليه عدم النوم فردّد بصوتٍ خافتٍ:

- هل هناك جديد يا بهاء؟ هل وصلتم لأيّ شيءٍ بخصوص ميّادة؟

- ليس هناك أيّ جديد ولم نعثر عليها ولكن هناك من يدّعي أنّه يعرف الأرملة السوداء، لمعت عيون يسري غير مصدق فإن صدق الرجل فهم على وشك التوصّل لمكان خطيبته المخطوفة. ذهب معه لقسم شرطة العبّاسية فلقد كان الرجل محتجزًا هناك لحين أن يأتي هو من مكتبه.

كانت الأفكار السوداء تملأ رأس كلٍّ منهما وهو يفكّر في ميّادة، فكلاهما يعشق عيونها الخضراء وصوتها الدافىء، فماذا حدث لها يا ترى وماذا فعل بها المختطفون هل عذبوها؟

هل اغتصبوها؟ هل مازالت كما هي؟

هل مازالت على قيد الحياة؟

كانت الأفكار السوداء تدور في عقليهما، وضبابٌ أسودٌ يعمي أبصارهم فلا يرون بارقة أملٍ واحدة، ولكنّهم يحاولون. فهم يعرفون بأنّ الأرملة السوداء لم تترك صبيًا ولا فتاةً إلّا وقتلته وأخرجت أحشائه وأمعاءه وصفّت دماءه بوحشيّة. عشرة أطفالٍ قامت بالتخلّص منهم بلا ضميرٍ أو ذرة رحمةٍ فلماذا ستترك ميّادة تعيش وتحيا؟

العقل يقول بأنّهم سيجدونها جثّةً ممزّقةً لا محالة، ولكن القلب يرفض التصديق والموافقة بالفكرة، سقطت العبرات خافتة، وفرّت هاربةً من بين العيون، وزاد بهاء من سرعة سيارته بجنون، كان قلبه يخفق بشدّة وصدره يعلو ويهبط بتوترٍّ دون أن يتكلم أو يفتح فمه.

نظر له يسري كثيرًا وهو يعرف ما يخفيه في صدره، فالعاشق تفضحه عيونه، وكان يرى العشق في عيون صديقة ولهفته، رغم أنّه كان دومًا يتجنّب لقاء ميّادة ويحاول التهرّب من أيّ لقاءٍ يجمعهما وكان يسري يحترم هذا ويقدّره منذ زمنٍ طويل.

رأى العبرات تتساقط على وجنتيه من أسفل نظّارة الشمس

السوداء التي يرتديها بهاء، تنهّد يسري بحرارةٍ مردّدًا:

- أنت تحبها يا بهاء، أليس كذلك؟

التفت بهاء بحدّةٍ إلى صديقه مردّدًا بصوتٍ مختنقٍ يحاول أن يجعله هادئًا:

- هي أخت أعزّ أصدقائي وخطيبة أخي يا يسري لابدَّ أن أحبّها كأختٍ لي وأخاف عليها، إن شاء الله سنجدها ولن يمسّها شيء لا تقلق. وبعدها أخرج سيجارةً من علبة سجائره وأشعل واحدةً وأخذ ينفثُ بقوّةٍ... نظر يسري له طويلًا والتفت للجهة الأخرى من الطريق فلقد تأكّد من شكوكه، ولكن ماذا سيفعل فللقلب أحكامه وقوانينه ولن يلوم عاشقًا.

وصلوا لقسم شرطة العباسيّة، وصعدوا لمكتب رئيس المباحث هناك، وكان الرجل يجلس على مقعدٍ ينتظرهم أمام رجال الشرطة، نظر يسري للرجل يتفحصه، وكان في العقد السادس من عمره يبدو عليه الوقار والجديّة، يرتدي عوينات طبيّة سوداء، كان الرجل يبدو عليه الهيبة، والاحترام، يرتدي قميصًا أبيض وسروالًا كحليَّ اللون يربطه بحزامٍ من الجلد الأسود. كيف لهذا الشخص معرفة القاتلة؟ كان الأمر يبدو غير منطقيٍّ تمامًا.

جلسوا أمام الرجل و بعد التحيّات والسلامات وقال

الشرطيُّ الجالس على المكتب:

- بهاء باشا كيف حالك؟ وأشار إلى الرجل الجالس بثباتٍ على المقعد وهو يكمل مردّدًا: دكتور حسين يقول بأنّه يعرف معلوماتٍ عن القاتلة التي تبحث عنها. اندهش بهاء هو الآخر فكيف لذلك الرجل معرفة الأرملة السوداء؟

جلسوا جميعًا ونظر بهاء للرجل وقال:

- تفضّل، قل ما تعرفه.

تنحنح الطبيب وعدّل من وضع جلسته مردّدا:

- إنّها «راوية الشندويلي جليل» كانت مريضةً عندي منذ سنوات.

ردّد بهاء:

- مريضةٌ عندك؟ وممَّ كانت تشتكي؟

- كانت مريضةً نفسيّةً، منذ خمسة عشر عامًا تقريبًا وهي بالمستشفى. اعتدل يسري وازدادت عيون بهاء اتّساعا وهو يردّد:

- أيّ مستشفى؟

- مستشفى العباسيّة للأمراض النفسيّة والعقلية. اتّسعت

عيون يسري، لا يفهم شيئًا، فهل الأرملة السوداء مجنونة؟

نظر بهاء إلى يسري وبعدها التفت إلى الطبيب وهو يردّد:

- انتظر أيّها الطبيب واحكِ لي القصّة بالتفصيل وبهدوءٍ شديدٍ رجاءً، ونحن نحتسي القهوة، فقل لي نوع قهوتك.

أخذ الطبيب نفسًا عميقًا وهو يرتشف قدح القهوة وبعدها ردّد قائلًا:

- دخلت رواية المستشفى، كانت في حالة صدمةٍ شديدةٍ وهياجٍ مستمرٍّ ونوباتٍ من الصرع، بسبب موت توأمتها سميّة في حادث سير، وفقد جنينها وإزالة الرحم، كانت حالتها حرجةً بعد الحادث وبقيت في العناية الفائقة في غيبوبةٍ لمدّة شهرٍ بعد الحادث، وعندما استفاقت وعلمت بما حدث أصيبت بإنهيارٍ شديدٍ وفقدت عقلها، واضطر والدها لوضعها في إحدى المصحّات النفسيّة. وقتها كنت أعمل أنا هناك كمديرٍ للمصحّةِ الخاصّة، وكنت أتابع حالتها ولكن لا جديد، كانت تعيش على المهدئات..وكان والدها يدفع مصاريف إقامتها كلّ شهر، ولكن بعد عدّة شهور انقطعت أخبار الأبِّ، وعرفنا بأنّه مات في شقّته ولم يكن هناك أحدٌ لدفع مصاريف الإقامة في المصحّة الخاصّة بعد أن طلّقها زوجها أيضًا واختفى بعد تغيير أرقام هواتفه والسفر خارج البلاد، لم يسأل عن راوية أيّ مخلوقٍ من أقاربها أو جيرانها أو

أصدقائها، وكانت قصّتها مؤلمةً وكان صاحب المصحّة يريد إلقاءها في الشارع، فلن يتحمّل مصاريف العلاج والإقامة المجانيّة، ولكنّني رفضت وقمت بتسهيل إجراءات دخولها مستشفى العباسيّة للأمراض العصبيّة والنفسيّة وعلاجها بالمجان وعلى نفقة الدولة، فأين ستذهب فتاةٌ جميلةٌ، وشابّة صغيرة لم تكمل السابعة والعشرين عامًا، فماذا سيحدث لها في الشارع من المجرمين وقطّاع الطرق ليلًا، فوفّرت لها مكانًا في العباسيّة، وكنت أتابع حالتها لسنواتٍ عديدة هي وبعض الحالات الميؤوس من علاجها نتيجة تعرضهم لصدمةٍ عنيفةٍ وفقدان مقربين لهم بطرق بشعة. وهنا قاطعه يسري باعتذارٍ قائلًا:

- أعتذر للمقاطعة ولكن هل كانت راوية تعرف طبيبةً في المستشفى اسمها «منال الوزان»؟ اندهش الطبيب واتّسعت عيناه وهو يهزُّ رأسه:

- لقد كانتا مقربتين جدًا وبنفس العنبر، كان نفس بروتوكول العلاج المستخدم وبدأت الاثنتان في التعافي والاستجابة للأدوية والمؤثرات الخارجيّة والضغوطات و بعد سنواتٍ من العلاج بدأتا تستجيبان للعلاج و لا تفارقان بعضهما البعض. خرجت راوية من المستشفى وكانت عندها القابلية لمواجهة المجتمع والخروج للعالم الخارجيّ، كان

بداخلها دافعٌ جعلها تقاوم لتخرج وتحقّق ما تريد، عكس ما كانت عليه منال تمامًا، فكان أمانها في المستشفى وفي غرفتها ومع صديقتها المقرّبة التي اعتبرتها أختها وابنتها وأمّها أيضًا كانت تعتبرها كلَّ شيءٍ لها في الحياة، وعند خروجها منذ شهور بعد أن تأكّد المتابعون لصحّة قواها العقليّة والنفسيّة، لم تتحمّل منال الفرقة والوحدة بالعنبر دون صديقتها راوية فانتحرت في العنبر وماتت بعد أن شنقت نفسها.

وهنا فهم كلٌّ من الشرطيّ والصحفيّ العلاقة بين راوية وسمّ الأرملة السوداء ومن أين عرفت التركيبة والجرعات، فيبدو أنّ الأستاذة الجامعيّة منال لم تنس ما تعلمته ودرسته طوال سنوات عمرها وعملها في الكليّة، رغم ما تعرضت له من أزمةٍ نفسيّة.

لقد تأكّد بهاء من صدق المعلومات ومعرفة منزل القاتلة وكان في منطقة عين شمس، ولكن كان عقله يفكّر ما الذي يربط ميّادة بالأرملة السوداء، ما الرابط بينهما؟

كان في حيرةٍ هو و يسري من الأمر وهل مازالت ميّادة على قيد الحياة؟

وهل الأرملة السوداء مازالت في منزلها القديم؟

كل تلك الأسئله كانت تجول في عقليهما وهما متجهان مع قوّةٍ من رجال الشرطة وإذنٍ من النيابة إلى منزل السفّاحة الأرملة السوداء، يتمنون من قلوبهم أن تكون الفتاة بخير ولم يمسسها أحدٌ أو يؤذيها...

وهناك كانت المفاجأة تصدمهم بقوّة..

***

جلست نهلة وهي ترتعد أمام الشيخ الجليل وهو يردّد بعض الكلمات لإبطال السحر الأسود وإبعاد التابعة من الجنّ عن حياتها وعن حياة أخت زوجها ميّادة، لعلها تظهر وتعود، كانت تبكي بقهرٍ حزنًا على عمّة أولادها وصديقة عمرها فلم تضايقها يومًا ولم تفعل شيئًا يزعجها طوال سنوات زواجها بأخيها، كانت أختًا لها وأكثر المقربين لها، سمعت الشيخ يردّد وهو يضع قطعةً من ثياب ميّادة أمامه وبخار المبخرة الفخّار الكبيرة أمامه يملأ هواء الغرفة، فلا تستطيع رؤية وجهه ولكن الصوت كان حادًّا مخيفًا يردّد عاليًا بصوتٍ أجش:

« بسم الله وبالصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، تبطل كل العهود مكتوبه منطوقه محفوره منقوشه منفوثه على عقد مصافحه ذبح – نذر- اطعام- سجود- ركوع بين السحرة والشياطين بين زوار الأضرحه والشياطين، بعلم أو غير علم فى عالم الجن أو عالم الإنس فى المنام أو اليقظه واللهم إنا

نبرأ إليك مما فعل الأباء والأجداد»

« بسم الله وبالصلاة والسلام على رسول الله، تبطل كل عقود النكاح بين الإنس والجن مكتوبه منطوقه محفوره منقوشه فى عالم الجن أو عالم الأنس فى المنام أو اليقظه بعلم أو غير علم، واللهم إنا نبرأ إليك مما فعل الأباء والأجداد»

«بسم الله وبالصلاة والسلام على رسول الله يبطل كل ربط سحرى ربطوه بصاحبة ذلك الأثر والثياب والعرق، سحر فلكى علوى سفلى مائى هوائى ترابى نارى يهودى نصرانى مجوسى صابئى ماسونى بينها وبين إنسان أو جن أو شيطان أو حيوان أو طير أو كائن بحرى أو حشرات أو جماد أو طعام أكله أو شراب شربه أو ملابس لبسها أو صوت سمعهاأو وقت من ليل أو نهار أو يوم من الإسبوع أو شهر من الشهور أو لون أراه لتجديد سحر أو تقوية حسد أو عين..»

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، يبطل كل رصد يحرس كنز ويتبعه ويصرف عنه وعن اهله، بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله تصرف عنها كل تابعه، بما اقسمت على نفسها فلا تقربها ولا تتبعها ولا اهلا ولا مالها ولا ولدها ولا عملها»

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، يبطل حسد وعين وسحر الشيطانه عيشه واعوانها وخدامها ويسلمون لله او يحرقون بما ظلموها وسكنوا جسدها»

بسم الله وبالصلاة والسلام على رسول الله، يحرق كل ملك او ملكه مس جسدها ظلما او عشقا لدمها وعطل حالها وامرضها بمرض «

بسم الله وبالصلاة والسلام على رسول يبطل حسد وعين وسحر القري،ن وكل حسد وعين وسحر اثر على القرين ويفك ربط القرين بالجسد «

بسم الله وبالصلاة والسلام على رسول الله تفك قيود وتفتح ابواب سجون وتحرر روح مريضة، وجسد من كل كنيسه أو دير أو معبد يهودى أو صابئى أو مجوسى أو ماسونى «

بسم الله وبالصلاة والسلام على رسول الله تمحى الطلاسم الروحيه على جسدها وروحها.. يهوديه ماسونيه نصرانيه صابئيه مجوسيه»

بسم الله وبالصلاة والسلام على رسول الله يقطع كل ربط بينها وبين عالم الجن»

أخذ الشيخ يردّد بلا انقطاع ولا توقُّف كلماتٍ عديدةٍ ليبطل

السحر ويبعد شر التابعة عن صاحبة الأثر ميّادة، ربّما تركتها التابعة من الجنّ وظهرت وعرفوا مكانها، وكانت نهلة تبكي وذهبت دون علم أمّها للشيخ الجليل لمساعدة أخت زوجها، فلقد كانت تعرف بأنّ ما يحدث معها ليس بالأمر الطبيعي أبدًا بل هو شيءٌ خارقٌ للطبيعة، كانت ترتجف بشدّةٍ وتشعر بالصقيع والبرودة فأخذت أسنانها تجز على بعضها البعض مصدرةً صوتًا غريبًا..

***

ذهب بهاء ومعاونه بصحبة قوّةٍ من رجال الشرطة ومعهم يسري، وأمرٍ من النيابة العامة بتفتيش منزل المشتبه بها «راوية»، على نفس العنوان المتواجد بالمستشفى والتي أخرجتها المستشفى في حينها لوجوده ووجود سكنٍ خاصٍّ بها، بعد عدم توافر من يستلمها أو يقرُّ بأنّها ستقيم عنده في منزله، وخرجت على مسؤولية الأطباء المعالجين الذين أكدوا سلامة عقلها، وبأنّها تستطيع العيش في العالم الخارجيّ والتأقلم مع الناس والمجتمع، فلقد شّفِيَت تمامًا وأصبحت شخصًا طبيعيًا لها الحق في بدء حياةٍ جديدةٍ خارج أسوار المستشفى..

وصلوا للعنوان وكان في حارةٍ شعبيّةٍ ومنزلٍ للأهالي مكونٍ من طابقين فقط، وكان مغلقًا ببوابّةٍ من الحديد وجنزيرٍ

حديديٍّ سميك، يبدو المنزل فارغًا مع نوافذه المظلمة، وكان الطابق الثاني يبدو وكأنّ حريقًا قد نشب به من قبل، فالجدران كلّها سوداء بلون الفحم والنوافذ الخشبيّة متفحمةٌ تمامًا، وتشقّق الجدران من شدّة الحرارة والنيران واضحٌ من الخارج تماما.

كانت نظرات يسري للمبنى قلقةً فالمكان يبدو مهجورًا ولم يسكنه أحدٌ منذ سنوات، اقترب من أحد المتاجر القريبة من المنزل وسأل رجلًا عجوزًا يجلس على مقعده يشاهد الذي يحدث، ويتابع رجال الشرطة وهم يحاولون فتح الباب الحديديّ بالقوّة، والناس تشاهد ما يحدث باستمتاعٍ وكأنّه فيلمٌ سينمائيٌّ يشاهدونه في السينما، وكان بهاء واقفًا يتابع جنوده وهم يحاولون كسر الباب واقتحام المنزل، قال يسري للرجل العجوز:

- من يسكن بالمنزل من فضلك؟

- ابنه الشندويلي سامحه الله وغفر له.

- من تقصد؟

- راوية إحدى بناته التوأم يا ولدي ولكنّها اختفت منذ الصباح بعد أن نشروا صورها في كلِّ مكان، لقد شاهدتها في هاتف حفيدي حمزة اليوم كما شاهدها كل سكان الحارة.

- ولمَ لمْ يبلغ أحدٌ الشرطة؟

- لا أحد يستطيع يا ولدى فالكلُّ يخشى والدهما سامحه الله.

- ردّ يسري بتوتّر:

- ألم تقل بأنّ الرجل ميّت يا شيخ؟ ضحك الرجل العجوز وأخذ يسعل بشدّةٍ وهو يردّد:

- ومنذ متى يا ولدي يمنع الموت أحدهم من فعل ما يريد بالحياة، أنت صغيرٌ ولا تعرف شيئًا كما أنّك لا تعرف من هو الشندويلي.

- أخبرني من هو.

ارتجف الرجل قليلًا ثم ردّد بفتور:

- كان رجلًا طيّبًا. ابتعد عنّي وأشار للباب الذي استطاع الجنود فتحه مردّدا: يبدو أنّهم فتحوا الباب اذهب معهم حتى لا يفوتك شيء. التفت يسري فوجد رجال الشرطة بدؤوا بدخول المنزل، ومنهم من تسلّق الجدران بالحبال ودخلوا المنزل من النوافذ المحترقة لا يعرفون شيئًا عن الجحيم الذي ينتظرهم بالداخل.

***

النهايـــــــة

دخل رجال الشرطة المنزل بعد كسر البوابة الحديديّة، وكانت هناك شقّةٌ أسفل السلّم، موضوعٌ عليها قفلٌ كبيرٌ من الخارج ودرجٌ قديمٌ متهالكةٌ درجاته، صعد بعض الرجال بحذرٍ وبعضهم حاول اقتحام الشقّة التي في الأسفل، صعد هو خلف بهاء وقلبه يكاد يقفز من بين ضلوعه من شدّةِ توتّره وخوفه على حبيبته ميّادة، يفكّر بقلقٍ هل يا ترى ما زالت على قيد الحياة؟

كان الطابق الأوّل يتكون من شقتين متقابلتين، شقةٌ متفحّمة تمامًا وليس لها باب لأنّه متفحّم، وشقةٌ أخرى بالجهة الأخرى بابها مغلق، طرق رجال الشرطة الباب المغلق للشقّة وانتظروا أن يفتح أحدٌ ولكن بلا جدوى، فحطّموا الباب ودخلوا الشقّة المظلمة وكانت الرائحة نتنةً وبشعةً بطريقةٍ لا تصدّق، سدَّ الجميع أنوفهم من الرائحة الكريهة التي تشبه رائحة الجثث المتعفّنه، كانت الرائحةُ شديدة. مع الظلام حاولوا إضاءة المصابيح لينيروا تلك العتمة، ولكن يبدو أن الكهرباء كانت لا تعمل في الشقّة. فتحوا النوافذ كلّها وسلطوا الكشّافات القويّة، وهناك كانت الصدمة عالية، كانوا في صالة كبيرة، كانت خاليةً من الأثاث ولكن بها موائدٌ من الرخام عالية وفوقها العديد من الأعضاء البشرية المتعفّنة

والكثير من الذباب والنمل فوق الأحشاء والأمعاء والرائحة النتنة لا تطاق ولا يتحمّلها أحد.

الكثير من الأعضاء، وجردل من البلاستك به دماءٌ متجلّطة وبين الأعضاء المنتشرة كانت هناك شموعٌ كثيرةٌ متناثرةٌ فوق المنضدة ونجومٌ سداسيّة مرسومةٌ باللون الأحمر، وعليها بعض الكلمات الغريبة والطلاسم المرعبة باللون الأحمر، وعشرة قرون وفروة كبشٍ أسود وجثّة قطةٍ سوداء مقلوعة العينين ومقطوعة الأطراف، ورسوماتٌ لطفلتين تمسك كلٌّ منهما بيد الأخرى، وصورةٌ أخرى على ورقة بيضاء لجنينين صغيرين داخل رحم أمهما مرتبطان بنفس الحبل السريِّ، كانت الصور كلّها مرسومةٌ باللون الأحمر وباليد على شكل رسم كروكي.

كلّها صورٌ غير واضحة المعالم ما عدا الصورتين اللتين توضحان رسمة التوأم. شعر رجال الشرطة بالتقزّز والإشمئزاز ممّا رَأَوا من تلك الأشياء التي تدلُّ على السحر الأسود وممارسته بالمكان..

أخرج بعض الرجال ما في بطونهم من شدّة الرائحة، اقترب بهاء من أحد الأعضاء على الطاولة الرخاميّة مردّدًا:

- تبدو أعضاء أطفالٍ صغار، همس يسري برعبٍ وهو يضع منديلًا ورقيًا فوق أنفه:

- أعتقد ذلك، فكلُّ تلك الأعضاء للأطفال المقتولين ويبدو أن القاتلة كانت تمارس السحر الأسود.

وهنا هتف أحد رجال الشرطة مردّدا:

- هناك كتابٌ أسودٌ يا سيّدي. التفت له الجميع بتوترٍ فيبدو الكتاب بغلافه الأسود وتلك الشياطين التى عليه يتحدّث عن السحر الأسود وتحضير الجنِّ، رفعه الجنديُّ من فوق الأرض ولكنّه صرخ ألمًا فلقد شعر بأنّ هناك تيارًا كهربائيًا يمرُّ في يديه، فألقى الكتاب من بين يديه على الأرض وصرخ متألمًا.

وهنا سقطت صورةٌ من بين صفحات الكتاب وكانت صورةً قديمةً لفتاةٍ شابّة في العشرينات من عمرها، كانت تشبه ميّادة كثيرا، إلتفت الجميع بقلقٍ وهنا إشتعلت النيران من تلقاء نفسها في الكتاب بطريقةٍ مخيفةٍ وصوت طقطقةٍ عاليةٍ جدًّا وكأنّ هناك خشبًا يحترق وصوت فوران الزيت المغليِّ عندما تلقى به قطرات الماء، مرّةً واحدة.

نظر الجميع برعبٍ شديدٍ غير مصدقين ما حدث أمامهم، وكانت النيران تأكل الكتاب وتلتهمه بنهم، كانت القلوب واجفةً تنظر بعيونٍ خائفةٍ لا تصدق ما هذا الجحيم وما الذي يحدث؟

استعاذ الجميع من الشيطان الرجيم ومن همساته وألاعيبة

المرعبة، فكيف احترق الكتاب بتلك الطريقة المخيفة أمام أعينهم، كانوا لا يصدّقون ما حدث بالرغم من حدوثه أمام أعينهم، فلو أخبرهم أحدٌ بتلك القصّةِ، ما صدّقوا حرفًا واحدًا منها لولا أنّهم رأوا كلّ شيءٍ بأعينهم.

شعر بعض الرجال بالاختناق من شدّة الدخان الأسود الذي يصدر من الورق المشتعل ورائحته الغريبة فلا تشبه رائحة الدخان العادي، أخذ دخان الأوراق يملأ الصالة وتنتشر رائحةٌ غريبةٌ بالمكان، لم يعد بعض الرجال القريبين يستطيعون المقاومة أكثر والصمود فأخذوا يتساقطون مغشيًا عليهم، حاول البعض إلقاء الماء على الكتاب المشتعل ولكن زادت المياه النيران اشتعالًا وازدادت كثافة الدخان الأسود الذي تحوّل للونٍ أحمر بغرابة، كان الأمر غريبًا فبدأ الرجال يتراجعون أمام كثافة الأدخنه والرائحة الكريهة.

وأخذ بعض رجال الشرطة يحملون زملاءهم الذين تساقطوا بجوارهم من رائحة الأبخرة، واتصل بهاء برجال الإطفاء والإسعاف الذين حضروا في دقائق معدودة.

كان قد سقط خلالها معظم رجال الشرطة القريبين من الكتاب، سقطوا مغشيًا عليهم، ولم يتحمّلوا الأبخرة الخانقة.

نزل يسري وهو يكتم أنفاسه هو وبهاء على الدرج وكان الرجال فتحوا باب الشقّة السفلي، وكانت تبدو نظيفةً مرتبةً

من الخارج، دخل يسري وبهاء للشقّة وكانت المراوح بها تعمل، فلقد قام أحد الرجال بتشغيلها وكانت تدور وتلفُّ لتغيّر هواء الشقّة.

كانت عبارةً عن غرفتي نومٍ تطلان على صالةٍ صغيرة فيها أريكةٌ كبيرةٌ ومقعدٌ هزّاز وشاشة عرضٍ تلفزيونيّةٍ معلّقة، وغرف النوم مفتوحة...

دخل يسري إلى الغرفة خلف بهاء بفضول، وكانت غرفة نوم بها سريران، وعليها الكثير من العرائس وهناك صورةٌ معلّقةٌ لطفلتين صغيرتين ترتديان ثوبًا أبيض قصير، وحذاءً أسود وجوارب بيضاء طويلة وكانت الفتاتان تشبهان بعضهما البعض وكأنّهما شيئًا واحدًا، وتبدوان وكأنّهما توأمٌ متماثلٌ في كلِّ شيءٍ حتى في عيونهما الخضراء، وكان هناك خزانةٌ صغيرةٌ مفتوحٌ بابها وتظهر الثياب المعلّقة والفساتين القصيرة للأطفال، تبدو خزانةً للطفلتين، وكومينو صغير في المنتصف بين السريرين، والعديد من الرسومات المعلّقة للأطفال على الجدران جوار السرير وتحت كلِّ رسمةٍ إمضاءٌ باسم إمّا راوية أو سميّة، نظروا برعبٍ للغرفة التي يبدو أنّها غرفة القاتلة الأرملة السوداء وهي صغيرة مع توأمتها الميّتة.

لا يعرفون ما الذي حدث للفتاتين وكيف ماتت إحداهما ولماذا لا يظهر شبحها إلّا لميّادة، فما العلاقة بين ميّادة وبين

التوأمتين يا ترى؟

اقترب بهاء بفضولٍ من الكودينوا وفتح الدرج وهنا وجد صندوقًا صغيرًا مغلقًا، أخرجه وحاول فتحه بصعوبةٍ، وكان بداخله سلسلتان كلُّ سلسلةٍ على شكل قلبٍ مقسوم، نصف قلبٍ كتب عليه «راوية» والنصف الآخر «سميّة» و أجندة غلافها لونه أسود ولصقت عليها ورقة بيضاء كتب عليها كلمة واحدة «أختي»

نظر بهاء بدهشةٍ إلى الأجندة وبعدها التفت إلى يسري، بتعجبٍ فلمن يا ترى تلك الأجندة السوداء هل لراوية أم لسميّة فأي التوأمتين هي الأخت المقصودة وأيّهما هي الحقيقية ومن منهما الشبح يا ترى؟

فتح بهاء أوّل صفحةٍ وأخذ يقرأ واتسعت عيناه رعبًا وهو ينظر للكلمات الموجودة واقترب منه يسري وهو يسمع صوت سيارات الإسعاف والمطافئ التي وصلت للمنزل لإنقاذ الرجال الذين تساقطوا وصرخات النساء في الشارع التي تردّد:

- إنّ الأمر لم ينتهي حتى بعد موت الشندويلي، سمع الكلمات بالخارج واسم الشندويلي يتكرّر على مسامعه الشندويلي الشندويلي الشندويلي ...لم يُعِرْها انتباهًا، واقترب من بهاء بتوترٍ وهو يشعر بانخفاض درجة الحرارة

من حوله وارتجاف يديه والبرودة في أوصاله، همساتٌ ضاحكة أخذت تتردّد في أذنيه مردّدةً:

الشندويلي..

نفض تلك الأفكار السوداء عن عقله وحاول إخراج اسم الرجل من رأسه وهو يهزّها بقوّةٍ، واقترب من رئيس المباحث بهاء وأخذ يقرأ معه في الأجندة السوداء ما خطّته راوية وهي تحكي عن أختها التوأم سميّة و بداية القصّة...

***

البدايـــــــة

في يوم ٢١-٣-٢٠٠٨

منذ ١٥ عامًا مضت وفي يوم عيد الأم كانت راوية وسميّة في رحلة للاسكندرية، أعدّتها المدرسة التي تعمل بها سميّة كمدّرسةٍ للألعاب الرياضية وكانت الرحلة للأمهات مع أطفالهن بالمدرسة، حضرت الطالبات مع أمهاتهن وتجمعن صباحًا في المكان المتّفق عليه، في ميدان عبود، لركوب الحافلة ولم تحضر إحدى الطالبات التي كانت قد سدّدت الاشتراك. وكانت «سميّة» مسؤولةَ و مشرفةَ الرحلة مع إحدى المعلمات، وقفت صديقتها لتضع علامةً على الطالبات اللاتي حضرن ولم يتبقَ سوى فتاةٍ واحدة كانت سدّدت الاشتراك وكانت ستذهب في الرحلة هي و أمّها وهي الطفلة «ميّادة إبراهيم الدسوقي».

زفرت ميس دولت مدرّسة اللّغة العربيّة:

- دومًا هي فتاةٌ كسولة متأخّرة، ردّت عليها سميّة:

- ربّما هناك ظروف عطّلتها سوف أتصل بوالدتها، اتّصلت بعدها بهاتف أمّها التى فوجئت بأنّه حدثت ظروفٌ وستضطر للسفر مع زوجها بعد نصف ساعةٍ لزيارة حماتها المريضة في محافظةٍ أخرى أمام إصرار زوجها، وأخبرتها بأنّ ميّادة تبكي

بشدّة فلقد كانت تحلم بتلك الرحلة منذ أن أعلنوا عنها لأنّها ستكون معك، يا ميس سميّة فهي تحبّك جدًّا..

- ردّت سميّة وأنا أيضا أحبّها جدًّا..صمتت قليلًا وسمعت صوت بكاء الطفلة على الهاتف وهي تقول لأمّها أريد أن أذهب إلى الرحلة مع ميس سميّة يا أمّي وأمّها تردّد:

- سوف أسافر مع أبيك وستبقين مع جدّك وأخيك الكبير حتى نعود، وأخذت تصرخ وتبكي، وهنا قالت سميّة:

- لما لا تحضريها للرحلة وسوف أهتمُّ بها لا تقلقي عليها، سوف أهتمُّ بها. ردّت الأمُّ بتردّدٍ:

- ميّادة لا تخرج بمفردها فأنتِ تعرفين كيف يتنمّر عليها الأطفال بسبب وزنها الزائد وكيف يسخرون منها دومًا وتعود تبكي كلَّ يومٍ من المدرسة.

- لا تقلقي فلن أسمح لأحدٍ بمضايقتها، وافقت الأمُّ لأنّ ابنتها الصغيرة ميّادة التي لم تكمل العشر سنوات كانت تحبُّ معلمة الألعاب الرياضيّة الجديدة جدًا، والتي لم يمرَّ على عملها بالمدرسة سوى عدّةِ أشهرٍ ولكنّها تعلّقت بها وتعاملها بطريقةٍ جيّدةٍ، وليس كما يعاملها باقي المدرسين بالمدرسة ويعايرونها بسمنتها ووزنها الزائد، طلبت الأمُّ منها أن تنتظرها فقط نصف ساعة حتى تحضرها في سيارة

أجرة وتحضّر لها أيّ طعامٍ تتناوله في الرحلة، ووافقت وعطلّت سميّة الحافلة من أجلها حتى تأتي، أمام غضب باقي الموجودات، وحتى أختها التوأم راوية شعرت بالسوء والضيق، لماذا عليهم انتظار الفتاة، فما العلاقة بين توأمتها وبين تلك الفتاة الصغيرة حتى تتعلّق بها هكذا وتعطّل رحلةً كاملةً وخمسون فردًا من أجلها هي لينتظروها؟

- سألتها راوية بضيق:

- هل تحبين تلك الطفلة لتلك الدرجة يا سميّة؟ ابتسمت بسعادةٍ وهي تغمز لأختها:

- تذكّرني بك يا أختي عندما كنت صغيرة، فهي تشهبك تمامًا. ازداد الضيق على وجه راوية وهي تردُّ عليها قائلةً بفتور:

- إذًا تشبهنا نحن الاثنان فنحن توأمٌ متماثلٌ يا أختي.

- ربّما ولكنّك كنت دومًا أكثر وزنًا منّي وتأكلين طعامي كلّه.

- سميّة لمَ لا تتركين تلك الفتاة وتدعي الحافلة تذهب حتى لا نتأخر، فأنت تعرفين بأنّني حاملٌ ولا أستطيع الانتظار.

- وهنا ردّت سميّة بسخرية:

- نحن سنسافر أربع ساعاتٍ فلن تتعبك نصفُ ساعةٍ زائدة،

كما و أنّه كان من الممكن أن تظلّي في المنزل مع زوجك وتستريحين من أجل ما في أحشائك ولكنّك أصريت على المجيء معي كالأطفال الصغار يا أختي، وبعدها ابتسمت وتركتها، وذهبت لتتحدّث مع السائق وباقي المشرفات، كانت راوية تشعر بالغيظ والضيق من تلك الفتاة فلقد كان، اهتمام أختها بها باديًا وواضحًا كما أنّها سمعت حديثها مع أمّها، وبأنّها سوف تهتم بها لأنّ الأمّ لن تحضر معها الرحلة للاسكندرية.

لقد كانت تشعر بالغيرة من تلك الفتاة التي لم ترها بعد ومن اهتمام توأمتها الزائد بها وهي التي تركت زوجها من أجل أن تقضي يومًا كاملًا معها كما كانا يفعلان عندما كانا صغارًا وقبل زواجها.

أحضرت الأمُّ طفلتها بعد أربعين دقيقةٍ كاملة وكان الجميع في انتظارها.

وتأخروا عن موعد إقلاع رحلتهم، حضرت الفتاة البدينة ونظرت لها راوية بغيظٍ واستقبلتها سميّة بترحابٍ شديد وقبّلتها، وأخذت من أمّها حقيبتها التى وضعت فيها الخبز كاملًا وعلبةً من الجبن، وبعض ثمرات الفاكهة وأعطتها مبلغًا ماليًا لشراء ما تريد من الطعام لابنتها لأنّها لم تجهز لها شيئًا.

ولكنّ سميّة أخبرتها ألّا تقلق فسوف تعدُّ لها السندوتشات

ولن تتركها، صعدت ميّادة بوزنها الزائد الذي تجاوز مئةً وخمسين رطلًا، فلقد كانت سمينةً جدًّا وكانت جميع التلميذات والمعلمات يسخرن منها

ومن طريقة مشيتها وكنّ يلقبنها بالبطّة القبيحة.

قبّلتها سميّة وطلبت منها الجلوس في المقعد الذي يقابلها، ولكنّها طلبت منها الجلوس جوارها فهي لا تحب الجلوس وحيدةً دون أمّها، جلست معلمتها جوارها، وتركت راوية توأمتها تجلس بمفردها على المقعد المقابل لها.

كانت راوية ستنفجر من شدّة الغيظ والغيرة، فهل تلك الفتاة السمينة تأخذ مكانها جوار توأمتها، ورغم محاولات سميّة وانتهاز بعض الأوقات والجلوس بجوار شقيقتها حتى لا تشعر بالضيق وهي وحيدة، ولا تعرف أحدًا غيرها، كما أنَّ كلَّ أمٍّ مع أطفالها، وكانت هي وحيدة فكيف لم تشعر بها أختها وهما لم يفترقا عن بعضهما البعض طوال سنوات حياتهما، سوى بعد زفافها ولم يوافق الأب على عيش ابنته بعيدًا عنه، فلقد ترك لها شقّةً في منزل العائلة كما ترك الشقّة المقابلة لها لأختها عندما تتزوج.

وصلوا الاسكندرية وقضوا اليوم وكان جميلًا واستمتع الجميع، ولكن لم تستمتع راوية بأيِّ شيءٍ في الرحلة وهي تنظر بغلٍّ لتلك الفتاة الصغيرة التي خافت منها بشدّة ومن

عيونها البارزة والجاحظة للخارج، ومسكت في ثياب معلمتها طوال الرحلة كما أمرتها أمّها حتى لا تتوه.

وفي نهاية اليوم تجمّعوا للعودة وبسبب تأخير ميّادة كان السائق يسرع بالطريق، وأخبرهم بأنّه لن يتوقف في الاستراحة أثناء العودة من الاسكندرية للقاهرة حتى يعود للشركة في ميعاده فلا يخصموا منه شيئًا.

وكان يسير بسرعةٍ جنونيّةٍ، وطلبت منه المعلمات أن يهدّىء من سرعته ولكنّه أخبرهم، لابدَّ من الوصول في موعده ولقد تعطّل بسبب الفتاة التى انتظروها ساعةً إلّا ربع تقريبًا.

نامت معظم الطالبات، حتى ميّادة نامت على مقعدها من التعب، قامت سميّة وجلست بجوار أختها وهي تردّد:

- هل أنت بخيرٍ يا حبيبتي؟ تبدين مرهقة. وضعت يدها على بطن أختها وهي تردّد هل الصغيرة بخيرٍ بالداخل، ابتسمت راوية رغمًا عنها وهي تقول:

- أخيرًا جئت لتجلسي بجواري وتذكرت بأنّ لك أختًا توأم وابنتها يحتاجانك جوارهما يا أختي؟

ابتسمت وهي تغمز بعينيها:

- وهل لي غيرك يا أختي بالدنيا؟ وكيف لي أن أنساك ونحن كنّا بنفس الحبل السرّي نتشارك الطعام، ولكنّها فتاةٌ مسكينة كما ترين وتتنمّر عليها الطالبات وحتى المعلمات.

- ردّت راوية بغيظ:

- تستحقُّ التنمر، فوزنها زائدٌ بطريقةٍ ملفتةٍ جدًا وصعبة. وهزّت رأسها وهى تردّد:

- لا يهمّ، المهمّ تفضّلي، وفتحت حقيبتها وأخرجت قطعة شوكولاتة اشترتها خصّيصًا وهي بالاسكندرية وبداخلها لعبةٌ صغيرة بمناسبة عيد ميلاد أختها التوأم. احتضنتها بحنان وهي تردّد: وكلُّ عامٍ وأنت بخير، انتظري سأريك هديّتك لقد اشتريتها لك أيضًا من الاسكندرية يا أختي.

وذهبت للمقعد المجاور والذي تجلس جواره الطفلة ميّادة وفتحت الشنطة وأخرجت هديّة أختها وكانت شوكولاتة وبها لعبة وقريبة الشبه من هديّتها وأمسكت الهديّتين، وهي تبتسم وهنا فتحت ميّادة عينيها وهي تنظر للشكولاتة بين يدى معلمتها، فقالت لها ببراءة:

- ما هذا يا ميس سميّة؟ هل هي لعبة؟ ابتسمت المعلّمة وجلست جوارها أمام نظرات توأمتها النارية وقالت سميّة:

- لا يا حبيبتي إنّها شوكولاتة وبداخلها لعبةٌ صغيرة كالدمية

وورق، بها أمنية، وهي هديّة عيد ميلاد أختي التوأم ولقد أهدتني واحدةً فاليوم عيد ميلادنا. وهنا أخذت الطفلة تبكي وهي تردّد من بين دموعها:

- واليوم هو عيد ميلادي أيضا ولكن لم يحضر لي أحدٌ هديّةً حتى أمّي، فلقد ذهبت لزيارة جدّتي المريضة، شعرت سميّة بالحزن على الفتاة فقالت لها:

- كلّ عامٍ وأنت بخيرٍ يا صغيرتي، تفضلي أجمل هديّة، وأعطتها الشوكولاتة التي أحضرتها كهديّةٍ لأختها، فرحت بها وأخذتها من بين يديها ونظرت للهديّة الأخرى مردّدةً:

- ولكن ليس لديَّ سوى هديّةٍ واحدة فقط، ضحكت بصوتٍ عالٍ وناولتها سميّة القطعة الأخرى وشعرت بسعادة وقبّلتها بقوّة واحتضنتها وهي تردّد أحبّك يا ميس سميّة. كانت أختها التوأم تتابع ما يحدث بينها وبين الفتاة ورأتها وهي تعطيها الهديتين، الهديّة التي أحضرتها من أجلها والهدية الأخرى وكان الغيظ والغلُّ يملآن نفسها من تلك الفتاة البدينة ومن تدخُّلها بينها وبين أختها وإفساد علاقتهما، التفتت سميه لأختها ولاحظت غضبها وضيقها الشديد، فحاولت الابتسام بإحراجٍ معتذرةً منها وهي ترى الهدايا في يد الطفلة وفرحتها بها، كان السائق يسير بسرعةٍ جنونيّة على الطريق، يكاد يطير من فوق الأسفلت.

حاولت سميّة القيام للجلوس جوار أختها لمحاولة التخفيف عنها وهمّت واقفةً ولكنّ ميّادة تشبثت بيديها مردّدةً:

- لا تتركيني يا ميس سميّة وحدي، فأنا خائفة، فجلست من جديد. كانت أنوار «الريست هاوس» تظهر من بعيد على الطريق الصحراوي من الاسكندرية للقاهرة، وكانت راوية تنظر لها بغضبٍ شديد.

فحاولت ألّا تضايقها أكثر، فأبعدت عينيها عنها وهنا توقفت سيارةٌ مسرعةٌ مرّةً واحدة أمام الحافلة في الطريق بعد محاولة عبور أحد المارّة الطريق، ولم يستطع سائق الحافلة التوقُّف والسيطرة على عجلة القيادة أمامه ولا التحكّم في الفرامل والسيطرة على الحافلة الكبيرة وتفادي الإصطدام سوى بالانحناء بزاويةٍ فمال على جنبه الأيسر وإنقلب الباص وسط صرخات الجميع وفزعهم، وخرج عن الطريق السريع ليتدحرج فوق الرمال، سقطت ميّادة فوق رأس معلّمتها التي كانت تجلس جوارها، وركلت بطن راوية أثناء الارتطام بقوّةٍ في بطنها.

فكتمت نفس سميّة من الاختناق بوزنها الثقيل وعدم حصولها على الأكسجين، وتسببت في إجهاض راوية وموت ما في رحمها، من قبل أن ينقلب الأتوبيس الكبير، لم تتحمّل

الركلة فقامت بعضٍّ قدم الفتاة بقوّةٍ من شدّةِ الألم والغيظ حتى قطعت قطعةً من لحم قدميها، وأخذت تصرخ الصغيرة بألمٍ ورعبٍ حتى فقدت الوعي.

لم يمت أحدٌ من الحادث سوى سميّة بسبب سقوط ميّادة فوق رأسها، وأصيب الكثيرون وسقطت راوية فاقدةً الوعي وهي ترى أختها التوأم تصارع الموت وتختنق أسفل الفتاة السمينة، ولا تستطيع الحصول على الأكسجين للتنفّس، كانت تشعر بتلك المياه الساخنة التي تخرج من أسفل جسدها وآلامٍ حادّةٍ أسفل ظهرها وبطنها وكانت أختها، تصارع الموت وهي ترفع يدها لأعلى طالبةً النجدة.

وجسد الفتاة فوقها، أخذت تعضُّ قدمها حتى أكلتها من شدّةِ الغيظ ولكن بلا جدوى، حتى خارت قواها و انحشرت الطفلة بين المقاعد وفقدت الوعي فوق جسدها وهي تمسك قطعتي الشوكولاتة بين يديها.

فقدت راوية أختها التوأم سميّة كما فقدت ابنتها وبيت ولدها فلقد حدث لها نزيفٌ حادّ نتيجة الصدمة، وبسبب ركلة ميّادة القويّة وقت انقلاب الحافلة، كانت الطفلة الصغيرة التي أكملت العاشرة من عمرها هي السبب فى دمار حياة التوأمتين للأبد وبسبب تأخيرها تسبّبت في الحادث.

كانت الفتاة البدينة شؤمًا ومرضًا في نظر الجميع، فقتلت

سميّة وتسببت في إجهاض راوية وإزالة رحمها وعدم قدرتها على الإنجاب وأن تصبح أمًّا، فلقد حرمتها أختها كما حرمتها أن تصبح أمًّا طوال حياتها، ففقدت عقلها من شدّة الصدمة وما تعرّضت له، وكانت ترى أمامها صورة الطفلة البدينة ميّادة فهي السبب فيما حدث لأختها وموتها لولا أنّها سقطت على رأسها ما كانت ماتت، ولولا ضربتها القويّة ما كانت فقدت ابنتها.

فميّادة قاتلة وتستحقُّ الموت في نظرها وهي سبب تدمير حياتها وحياة أختها ولا تستحقُّ شيئًا سوى الموت، الموت فقط.

جنَّ جنون الأب بعد موت ابنته وفقدان الأخرى عقلها بعد معرفتها ما حدث، وهروب زوجها وتطليقه لابنته بعد جنونها ووضعها بالمصحّة النفسيّة للعلاج وقرّر أن يشفي ابنته من مرضها وينتقم من قاتلة الأخرى، فأخذ يحاول تحضير وتسخير الجنِّ لمساعدته في عمله، أحضر الكثير من كتب السحر الأسود التي تتحدّث عن تحضير الجنِّ وتسخيرهم ليقوموا بتنفيذ ما يريد، وبدأ في تسخير التابعة لأذيّة الطفلة الصغيرة التى بسبب بدانتها تسبّبت في فقدانه أعزّ ما يملك في الحياة.

قرّر تسويد حياتها فأصابتها التابعة بالكوابيس، وجعلتها

تمرض فلا تستطيع النوم ولا تناول الطعام، وكان يقوم يوميًا بمحاولة تحضير الجنّ. في إحدى الجلسات يومًا حتى يشفي ابنته المريضة ويعيدها إليه، وكان أهالي الحارة يسمعون الصرخات القادمة من منزله ليلًا والبرودة عندما يمرون جوار المنزل الملعون المكوّن من طابقين، غير الأنوار التي كانت تنطفيء وتضيء من تلقاء نفسها ليلًا.

وعندما يكون خارج المنزل في خلوته بالصحراء، لإحضار الأشياء الغريبة، كانوا يرونه دومًا يحمل أكياسًا سوداء وفراء خروف، كان يتسلّل ليلًا ليسرق أحد الكلاب السوداء الضالّة في الشارع والقطط السوداء، كان أهل المنطقة يعرفون بأنّ الرجل يمارس السحر الأسود فلقد فقد عقله بعد ما حدث لبناته، فلقد كان هو كلّ شيء لهما بعد موت أمّهما وهما في سن الرابعة من عمرهما. لم يتزوّج ولم يجلب لهما زوجة أب بل اهتم هو بهما، ولكنّه فقد عقله، كانوا يخافون منه عندما يخرج ليلًا ويتهامسون برعبٍ لقد خرج الشندويلي من صومعته ليجلب الشرّ. كان الكلُّ يخاف على أطفاله من الرجل، حتى سمعوا يومًا صرخاتٍ عالية قادمة من منزل الشندوبلي ومن شقّة ابنته التي في مستشفى المجانين، كانت الصرخات عاليةً وصوت تكسير أشياء وتحطّمُ زجاج عالي، خرج الجميع من منازلهم وهم يسمعون ما يحدث للرجل الذي يعيش في المنزل لوحده ولم يجرؤ أحدهم على

دخول المنزل ليلًا، وكانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل، وبعد آخر صرخةٍ، سمعوا صوت صفير رياحٍ عاتيةٍ قادمةٍ من المنزل وأصوات حوافر خيول وكأنّ الحرب قد قامت بداخل منزل الرجل، وفصلت الكهرباء تمامًا عن المنطقة وذهب كلُّ واحدٍ لمنزله وهو يقرأ ويردّد ما يحفظه من القرآن الكريم وآيات الذكر الحكيم.

وفي الصباح وجدوا باب منزله مفتوح، لم يجرؤ أحدٌ منهم على الدخول، بل اتصلوا بالشرطة

التي وجدت الرجل مقتولًا في شقّته والباب مغلقٌ من الداخل وكلُّ شيءٍ محطّم بداخل الشقّة، حتى عظامه كلّها كانت محكة ومهشّمةٌ تمامًا وليس فيها جزءٌ سليم، لقد تعذّب الرجل بطريقةٍ بشعة حتى الموت والغريب لم يدخل أحد ولم يخرج من الشقه فالمفتاح كان من داخل الشقّة في الباب وجميع النوافذ مغلقة، وكان هناك العديد من كتب السحر وتحضير الجنّ تملأ الشقّة وبجوارها الكثير من الأشياء الغريبة والنجاسات

ومن يومها أغلق باب المنزل ولم يدخله أحد وظلّ منزل الشندويلي مغلقًا، ولكنّ الصرخات وأصوات حوافر الأحصنة وصوت صفير الريح لم يتوقّف من الصدور والانبعاث من المنزل ليلًا وفي نفس الوقت الذي توفي فيه الرجل، حتى

استيقظوا يومًا على رائحة حريقٍ وأصواتٍ عالية وصرخات وكان منزل الشندويلي يحترق فلقد حدث ماسٌ كهربائيٌّ في شقّة ابنته راوية وأكلت النيران كلَّ شيءٍ في الشقّة وتفحّمت، لم يقترب أحدٌ من النيران ولكنّ رجال الإطفاء قاموا بعمل كلِّ شيء.

سنواتٌ طويلةٌ والمنزل مغلق لا يقربه أحد، تتعالى الأصوات والهمسات فيه ليلًا ولا أحد يستطيع دخوله ولا الاقتراب منه، روائح كريهة تنبعث من المنزل كلّ يومٍ ليلًا وفي نفس الوقت والساعة التي مات فيها الشندويلي ورحل.

حتى خرجت ابنته راوية من مستشفى المجانين وفتحت المنزل، وعاشت في شقّة والدها بالدور الأرضيِّ فلقد احترقت شقّتها وكانت غريبةً كوالدها لا تتكلّم مع أحد.

لا يراها أحدٌ وهي خارجةٌ أو داخلةٌ للمنزل إلا قليل ولا يعرفون متى تغادر ولا متى تعود، وكانوا يخشونها كما كانوا يخشون الشندويلي بعيونها الخضراء الجاحظة للخارج وذلك العنكبوت الأسود على كف يديها.

***

لقد فهم رجال الشرطة ويسري الرابط بين ميّادة وبين التوأم فلقد كانت السبب في موت إحداهما، لذلك يظهر

لها هي وحدها شبحها أو قرينتها، ربّما لشعورها بالذنب يطاردها ، وربّما لأنّه يريد تعذيبها، وهنا ردّد بهاء بحيرة:

- ولكن أين هي؟ ولمَ لمْ نجد جثتها في الشقّة، أعتقد أنّ هناك شيءٌ آخر يا يسري فالموضوع ليس انتقامًا فقط في ظنّي.

كان يسري مشتّت العقل والفكر فكلُّ ما قله بهاء صحيح، لو كان الموضوع انتقامًا من ميّادة لكانت قتلتها وأنهت حياتها ولكن لماذا قتلت العشر أطفال؟ ولماذا كانت تضع كلّ تلك القاذورات؟ هناك شيءٌ آخر، اقترح معاون المباحث سؤال أحد المتخصّصين في الأمر، وكان الشيخ الجليل، ذهبوا إليه وطلبوا المساعدة، حضر معهم للمنزل وابتسم، مردّدًا:

- منزل الشندويلي رحمه الله؟ لقد ضيّع نفسه وخسر دينه ودنياه.

سأله بهاء هل تعرفه؟

- -ومن لا يعرف الشندويلي لقد قتله الجنّ لأنّه تدخّل في أسراراهم و كينونتهم ولم يستطع في القتال الروحي معهم فانتصروا عليه.

- زفر بهاء بغضبٍ مردّدًا:

- أريدك فقط أن تساعدنا، ماذا تريد ابنة الشندويلى من الفتاة المختفية؟ وأين هي؟

- أخذ الرجل يردّد بعض الكلمات ويتحسّس الجدران واقترب من الكتاب المحترق ومن النجاسات بجواره وردّد:

- جلسةٌ لنقل الأرواح؟

- - ماذا تقصد بجلسة نقل أرواح؟

- تنهّد الشيخ الجليل مردّدًا بصوتٍ جهوري:

- ابنة الشندويلي تريد إرجاع وإعادة توأمتها الراحلة فاستعادت تابعتها وقرينتها وتريد لها جسدًا لتسكنه، وليس هناك أنسب من جسد من تسبّب في قتل الروح ورحيلها هل تفهمون؟.

- نظر يسري بفزعٍ إليه مردّدًا:

- هل تقصد بأنها تريد استعادة روح أختها بكلّ ما تفعل بالسحر الأسود وقتل كلّ اولئك الأطفال الأبرياء من أجل أن تعيد روح أختها، وما ذنب الأطفال الذين قتلتهم؟

- وما ذنب أختها بأن ماتت بسبب الفتاة، هي لا تفكّر هكذا، هي تفكّر في استعادة أختها فقط ولقد استعانت بأقوى كتبٍ للسحر وسيطرت على أقوى خُدّامِ الجنِّ وربطتهم بالمنزل

وكان لابدّ من إكمال الطقوس وإحضار دماء نقيّة لم ترتكب النجس والخطايا، وأعضاء بشريّة نظيفة لم تدنّسها قمامة الحياة، وليس هناك سوى دماء وأعضاء الأطفال الصغار حتى تضحي بهم.

- زفر بهاء بتقزّزٍ: والآن أين نجدها؟

- ستجدها في نفس المكان الذي ماتت فيه توأمتها، فمكان خروج الروح هو مكان دخولها.

نظر كلٌّ منهما للآخر وشعروا ببرودة المكان، وبرائحةٍ نتنةٍ هبّت على المكان فنظر الشيخ الجليل بتوتّرٍ من حوله مردّدًا:

- يبدو أنّهم لم يعجبهم الأمر، فلترحلوا من هذا المكان الآن.

ردّد بهاء وهو يشعر بالتوتّر :

- ماذا حدث؟ ولكنّ الرجل لم يرد بل شعروا وكأن هناك أحدًا معهم بالمنزل فلقد ارتفعت درجة الحرارة بالمكان عالية، وشمّوا رائحة دخانٍ وأصوات حوافر الأحصنة تجري من حولهم، رفع الشيخ يده عاليًا مردّدًا:

- دعوهم يرحلو بسلام فليس بيننا وبينكم قتال يا قبائل المارج الأعظم.كرّر كلماته بصوتٍ عالٍ ووجهه أحمر وكأنّه يختنق، وشعروا بالحرارة تزداد. وبعدها أخذ يردّد وأنفاسه

تلهث بقوّة:

اللهم بحق كهكهيج يغطشي بلطشغشويل امويل جلد مهجما هلمج ورو‌ديه مهفياج بعزتك الا ما اخدت سمعهم وأبصارهم سبحان من ليس كمثله شي وهو السميع البصير.

اقسمت عليكم يا خدام الاسم الاعظم بالله وعظمته والعرش ورفعته والكرسي وسعته وجبرائيل ووحيته وميكائيل وامنته واسرافيل ونفخته وعزرائيل وقبضته انكم لا تعصوا من دعاكم باسمائه بحق العهد واليتاق وبما عاهدكم به سيدنا سليمان ابن داوود عليه السلام عند باب الهيكل الكبير ببابل انكم توفو بعهد الله ادا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلت الله عليكم كفيلا وكان عهد الله مفعولا اين تكونوا ياتي بكم الله جميعا ان الله على كل شي قدير وانه لقسم لو تعلمون عظيم الوحاالوحا العجل العجل الساعةالساعة بارك الله فيكم وعليكم

نظروا له برعبٍ شديدٍ وهم يرونه يختنق والأشياء ترتفع من حوله وتتطاير عاليةً، وهنا أخذ يسري يردّد آية الكرسي وما يحفظه وأخذ بهاء يردّد سورة البقرة بصوتٍ عالٍ، كانوا يشعرون بأنَّ هناك من يثبّت أقدامهم بالأرض، ويحاولون الثبات.

وصوت الشيخ الجليل عاليًا يردّد:

- -دعوهم يرحلوا بسلام فليس بيننا وبينكم قتال يا قبائل المارج الأعظم.

- وسقط على الأرض وهو يلهث مردّدًا:

- اذهبوا الآن فالقتال الروحيُّ بيني وبينهم.

وسمعوا صوته عاليًا وهو يردّد» اللهم بحق كهكهيج يغطشي بلطشغشويل امويل جلد مهجما هلمج ورودیه مهفياج بعزتك الا ما اخدت سمعهم وأبصارهم سبحان من ليس كمثله شي وهو السميع البصير.

اقسمت عليكم يا خدام الاسم الاعظم بالله وعظمته والعرش ورفعته والكرسي وسعته وجبرائيل ووحيته وميكائيل وامنته واسرافيل ونفخته وعزرائيل وقبضته انكم لا تعصوا من دعاكم باسمائه بحق العهد واليتاق وبما عاهدكم به سيدنا سليمان ابن داوود عليه السلام عند باب الهيكل الكبير ببابل انكم توفو بعهد الله ادا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلت الله عليكم كفيلا وكان عهد الله مفعولا اين تكونوا ياتي بكم الله جميعا ان الله على كل شي قدير وانه لقسم لو تعلمون عظيم الوحاالوحا العجل العجل الساعةالساعة بارك الله فيكم وعليكم»

خرجوا يركضون وقلوبهم ترتجف لا يصدقون ما حدث

للرجل أمامهم، فهل سيقتله المردة من الجان مستغلّين منزل الشندويلي؟ وما هو القتال الروحي؟ ولكنّهم لم يهتموا بالأمر فلقد طلب بهاء قوات الدعم ورجال الشرطة لمساعدة الرجل. وتوجهوا الى مكان الحادث، لقد قالت راوية بالقرب من «الرست هاوس» في طريق الاسكندريّة القاهرة الصحراوي.

كانت المسافة طويلةً فهل سيلحقون ميّادة، استقلّا سيارة بهاء وطلب قوات دعمٍ ورجال شرطة للمكان، وذهب هو كالمجنون يقود السيارة في طريقة للرست هاوس وبعد وقتٍ وصل للمكان وشاهد بعض الأنوار الخافتة جوار الطريق الصحراويّ، ركن سيّارته ونزل من السيّارة على مسافةٍ هو ويسري وشاهدا ظلّ امرأةٍ وهي تمسك كتابًا ويبدو أنهّا تقرأ فيه، اقتربا بحذرٍ وكانت ميّادة نائمةً وسط الرمال ومن حولها شموعٌ سوداء مشتعلة وبجوارها رفات جثّةٍ وعظام على قطعة قماشٍ بيضاء.

وزجاجةً من الدماء كانت ترشُّ بها فوق وجه ميّادة وهي تقرأ بصوتٍ عالٍ وترسم النجوم والدوائر بالدمّ على جسدها العاري جوار الطريق، كانوا يتعجّبون كيف لم يرها أحد ورأوها هم فقط، فهل لأنّ المكان الذي تمارس فيه سحرها الأسود كان منخفضًا عن الطريق فلن يراها أحدٌ بسهولة إلّا سائق سيارةٍ نقلٍ أو أحدًا في حافلة، ربّما خاف من ألها ودبّ

الرعب في قلبه وربّما لم يمرَّ باصٌ بالطريق أمامها، اقتربوا منها وردّد بهاء وهو يمسك سلاحة الناريّ:

-توقفي عمّا تفعلين يا راوية وإلّا أطلقت النار، اتركيها وشأنها فأختك ماتت قضاءً وقدر وليس لها دخلٌ في موتها، لم تلتفت له وأخذت تكمل.

كرّر كلامه، توقفي عمّا تفعلين واتركيها وإلّا أطلقت النار، لم تتوقّف بل التفتت له بغضبٍ، فشعر

وكأنّ هناك من يدفعه للخلف بقوّة، أطلق النار ولكنّه لم يصبها ولم تتوقف هي عمّا كانت تفعل، سقط بهاء على الأرض وركض يسري تجاهها كالمجنون لإنقاذ ميّادة من بين يديها، وأمسك قالبًا كبيرًا من الصخر وذهب به، وكانت هي مشغولةً في طقوسها لا تلتفت لهم والقمر في الصحراء مكتمل وينير المكان، وهمّ بإنزاله على رأسها بقوّةٍ، فتهشمت رأسها ولكنّها قبل الموت دفعته بقوّةٍ للخلف.

كان يشعر بأنّه يطير في الهواء فالدفعة كانت قويةً لدرجةٍ مرعبة فسقط أسفل سيارةٍ كانت مسرعةً على الطريق فدهسته أسفل عجلاتها، وحاولت أن تكمل رغم رأسها المهشّم والدماء التي تخرج منه بغزارة، ولكنّ بهاء أخذ يطلق عليها النيران والرصاص الكثير وهو يرى جسد صديقه والسيارت المسرعة تلقي به يمينًا ويسارًا كقطّعة ورقٍ، لا

تبالي بجثّته التي تحولّت للحمٍ مفروم حتى سقطت راوية جثّةً هامدةً فوق جسد ميّادة بقوة،

ومن شدّة السقوط فتحت ميّادة عينيها وصرخت برعبٍ وهي تشعر بالألم، أبعدتها عن جسدها وأخذت تصرخ، وهنا شاهدت جسدها العاري الغارق بالدماء، ووجدت بهاء يقف محاولًا إعطائها معطفه لتغطيتها ومحاولة تهدئتها.

شعرت بالرعب وأخذت تركض بالطريق وهي تشير للسيارات أمامها، ولم يستطع بهاء إيقافها فصدمتها سيارةٌ على الطريق السريع وصرخ هو مردّدًا:

- ميّادة لاااااا

***

فتحت عينيها وكانت نهلة زوجة أخيها وأخوها محمّد وخالها وزوجته وبهاء جوارها في المستشفى، وكانوا يشعرون بالارتياح لأنّها أخيرًا استفاقت كما أخبرهم الطبيب فهي في غيبوبةٍ منذ ثلاثة أشهر،

هتفت نهلة بفرح:

-الحمد لله وحمدًا لله على سلامتك. اقترب الجميع منها وأخذوا يقبلونها وهم يردّدون حمدًا لله على سلامتك يا

ميّادة وكانت هي تنظر لهم بعيونٍ مذعورةٍ خائفة، لا تدري أين هي...اقترب منها بهاء وردّد بسعادةٍ حقيقيّة على نجاتها فلقد كانت بين الحياة والموت، وتمّ إنقاذها من بين براثن الموت:

-حمدًا لله على سلامتك يا ميّادة، والحمد لله أنّك بخير والبقاء لله في وفاة يسري. نظرت له بعيونٍ متّسعة لا تصدّق ما تسمع ويقول، وقالت بصوتٍ واهنٍ ضعيف:

-لا أفهم عمَّ تتحدثون ومن أنتم ومن هي ميّادة ومن يسري الذي مات، فيبدو أنّ هناك خطأً في الأمر ولست أنا من تظنون فاسمي هو «سميّة الشندويلي»، فأين أختي راوية لقد كنّا في رحلةٍ إلى الإسكندرية فهل هي بخير؟

سقط بهاء على مقعده غير مصدّقٍ ما يسمع، ونظر كلٌّ منهم إلى الآخر ولم يردّ وهم يسمعون كلماتها التي أخذت تردّدها:-

-هل تفهمون ما أقول «سميّة الشندويلي»..مدرّسة تربية ألعاب رياضية في مدرسة ثمرة الحياة الخاصّة للفتيات، أين أختي التوأم راوية؟

النهايـــــــــــــة

نبذة عن الكاتبة:

منى حارس محمّد عبد الرحمن – طبيبة بيطرية مصرية- كاتبة - عضو اتّحاد كتاب مصر - من مواليد الأسكندرية .

صدر لها:

لعنة الضريح – رواية

قسم سليمان – رواية

قرين الظلام – رواية

رسائل من الجحيم – رواية

نحن نعرف ما يخيفك – رواية

متجر العجائز – رواية

ساديم- رواية

رعب التجربة الأمريكية – رواية

رحيل – روايـة

ابنة سراحديل – رواية

المنبروكة – رواية

مقبرة جلعاد – رواية

جمعية قتل الرجال – رواية

اللعنة- رواية

قلادة الجحيم – رواية

جحيم الأسياح – مجموعة قصص

لعنة الأرواح – مجموعة قصص

سجلات عزازيل – مجموعة قصص

كيف تعتني بحيوانك الأليف – كتاب

عدلات وحرامي اللحاف – رواية أدب ساخر